

ق قلت، نخذوا الحجاز

سلسلة مقالات سياسية، اجتماعية دينية، تتضمن
حقائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة
العربية لم يسبق لرحلة تدوينها

وقد نشرت بإعانة جريدة «السياسة» الغراء
محمد مصطفى أنسرى مصطفى

صحافي

قامت بطبعها ونشرها مكتبة المنار باذن الكاتب

١٣٤٦ ١٩٢٧٥ م

طبعة المنار بمصر

قلوبنا نخبذوا الحجاز

سأله مقالات سياسيته، اخضاعه دابه، تتضمن

حوائق وه ساهدات في قلب منه الحزيرة

البريه م سمي ل حالة تدويرها

فلم يبالا

ودد انه رده ساعا حركة «السياسة» المراد

هنا

شهره به من أنسرى مصطنعي

هنا

د د ا

ا ا



صوره صاحب الرحله

محمد توفيق أفندي مصطفى

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وعليه تشكل وه نستعين وهو خير معين وبعد :

فلمست أنكر انني كنت الى ما قبل زيارة حضرة صاحب
 السمو الملكي الامير سعود ولي عهد نجد والحجاز لمصر في
 صيف العام الماضي أجهل كل شيء عن أحوال البلاد العربية
 التي ندين وإياها بدين الاسلام الحنيف اللهم إلا القدر الذي
 يعرفه سواد المتعلمين من أبناء مصر وغير أبنائها من الناحيتين
 التاريخية والجغرافية ، وحسبي أنه لم يكتب واحد من رحالة
 العرب والافرنج في الطور الحاضر شيئاً يعتد به عنما
 بعد ذلك التطور السياسي الذي تفر من كل شيء على
 وجه الارض بعد الحرب العالمية الكبرى وبخاصة عقب
 ادماج القطرين العربيين — نجد والحجاز — في حكم واحد

وتحت سلطان ملك واحد هو حضرة صاحب الجلالة الامام
عبد العزيز آل سعود ، واذا قلت هذا في شأن نجد والحجاز
وحدهما دون الجزء المتم لشبه الجزيرة العربية وأعني به اليمن
فانما قد قيض لاهل الاطلاع وعشاق التعرف باحوال الامم
من قام بارتياح هذا القطر من أبناء مصر في السنوات الاخيرة
ونشر ما كان مجهولا عنه

فقد قام حضرة صاحب السعادة العالم المحقق أحمد
زكي باشا برحلة في العام الماضي فقص علينا ما
شده من احوال اليمن على صفحات الالهام الغراء مما لم
يعرض له أحد قبله من حيث الافاضة في سائر نواحي
تلك البلاد الاجتماعية والسياسية ، ولعل النهضة العربية
التي تبليت كل شبه جزيرة العرب واشتراك مصر بل قيامها
بهذا خير قابل بجمع كلمة المسلمين سواء أكان باهتمامها الدائم
بشؤون الاراضي المقدسة والخلافة الاسلامية أم بنشر معالم الثقافة
العلمية واعلاء شأنها هو الذي حرك همم المفكرين والباحثين
لاستجلاء حقائق الجمال في تلك البلاد والعمل على تقريب

قلوب الشعوب الاسلامية نحو جاراتها وتوطيد علائق الود
والصفاء بينها ، وان انس لا أنسى ما أبداه سمو الامير سعود
أثناء زيارته مصر من هذه الرغبة السامية ودعوته المفكرين
لزيرة بلاده واستطلاع شئونها ونشر الحقائق المجردة عنها
للناطقين بالضاد ممن لا يزالون يجهلون عنها كل شيء
من أجل ذلك ، ولاني منذ نعومة أظفاري أشعر بميل
خاص الى احتذاء أثر المستطلعين لا حوال الأمم والبلدان
وكنت ولا أزال ممن يؤمنون بالتطور في كل شيء حتى
أني كنت أرقب عن كثب خلال زيارة الامير النجدي
وحاشيته الكثيرة العدد مصر ما أحدثته هذه الزيارة لمصر المتدينة
العظيمة التحضر في نفوسهم من الاثر والتطور النسبي في
حركتهم وسكناتهم ومقدار قابليتهم واستعدادهم للأخذ
بأسباب الحضارة فكنت ألمس أشياء كثيرة مما كنت أو من به
من هذه الناحية الحساسة ، سواء أكان في اجتماعاتهم بزائرهم
من المصريين والاجانب ، أو معاملاتهم الخاصة ، وفي خلال
مشاهداتهم لعظمة الحضارة المصرية وأسباب العمران

الاجتماعي، وما اقتناه سمو أميرهم من نفائس المصنوعات وبدائع
الاشياء وتقديره لكل ما كان يقع تحت ناظره مما كان يعد
في نظره جديداً غريباً، فاذا اضفت الى ما تقدم ما كان ينقله
الى سمي الرواة عن فعال جلالة الملك عبد العزيز سواء في
تدبير شئون بلاده من الوجهتين الاجتماعية والسياسية
والاحاديث التي كانت تنشرها الصحف لجلالته مما يدل على
سعة اطلاعه وحدة ذهنه وبعد نظره في جلائل الشئون
واتفاق قلبه وعاياه على حبه واجلاله مع بقاء أكثرهم على
بداوتهم وشدة تمسكهم بالعمليات دون النظريات

كان كل ما تقدم من الاسباب المباشرة التي دفعتني للقيام بهذه
الرحلة الشاقة الطويلة وحسبي أنني قصدها لوجه العلم والاطلاع
فقد سلكت طريقاً لم يطرقتها سواي حتى الآن من الجانب
عن تلك البلاد فتم لي ما أردته من حيث الاستطلاع الصحيح
واصابة الهدف المقصود . واني لمدين بشيء كثير من الفضل في
نجاح هذه الرحلة الى تلك الخلال العربية الكريمة التي أبدتها
لي زعماء قبائل نجد من طيبة خاطر والى استتباب الأمن في

تلك الربوع ، وأخيراً بل وأولاً وآخراً الى رعاية حضرة
صاحب الجلالة الملك عبد العزيز التي شملتني قبل أن يعلم بأمر
رحلتي ، حتى بلغت « الرياض » أثر عودة جلالته اليها
من الحجاز

هذا واذا كان حقاً علي بعد ذلك أن أخص أحداً في
مصر بالشكر والمنة فاني أخص جريدة السياسة الغراء التي
تفضت بنشر سلسلة مقالاتي عن هذه الرحلة ومكتبة المنار التي
تكرمت بطبعها ونشرها على جمهور القراء وأسأل الله أن
يوفقنا جميعاً لتأييد الحق على الدوام

محمد بنصب

تمهيد

دفعني الميل لاستطلاع أحوال شبه جزيرة العرب بعد ذلك التطور الذي شمل هذه البلاد من أدنى أطرافها الى قصاها الى القيام برحلة طويلة شاقة بدأتها بالسفر من القاهرة الى فلسطين ومنها الى نجد فالأراضي الحجازية مخترقا قلب الصحراء على ظهور الابل . ولا بد لي قبل أن أصل الى وصف أول بلدة وصلت اليها في أرض نجد وأظن أنها « قريات الملح » بجمل بي أن أصف للقراء كيف وصلت وكيف شددت الرحال وهو وصف ينير في النفس ذكريات تاريخية من سير أهل عرب وملوك البوادي

لم يكن لي عهد بركوب متون الصحراء ولا أعرف شيئا عن وسائل الانتقال والمعيشة في تلك القفار . وقد بدأت الرحلة في الصحراء بأن استأجرت سيارة قامت بي من عمان عاصمة شرق الأردن قطعت في قلب الصحراء زهاء أربعمائة كيلومتر قصت في قطعها يوما كاملا لم أشهد في الطريق أثناءه سوى أرض قاحلة لا زرع فيها ولا خمرع اللهم إلا قوافل من الابل تسير من هنا وهناك ، وقد قص علي سائق السيارة أن هذه الطريق كانت قبل الآن من أخطر الطرق على السابلة ولكن الخفارة الجوية المستمرة قطعت دابر اللصوص وقطاع الطريق اللهم إلا ماتاتيه بعض القبائل كقبيلة الحويطات من الغزوات وأعمال السلب والنهب .

في قريات الملح

وما كدت أصل الى «قريات الملح» وهي أول بلد يدخل في منطقة نفوذ ابن السعود وأبدي رغبتى لبعض زعماء القبائل لزيارة عاصمة نجد حتى أسرع الى اعداد قافلة مؤلفة من خمسة جمال امتطيت أحدها وكان ركاب الأربعة الأخرى بمثابة خدم خاص، وتصادف أن كانت هناك قافلة كبرى قوامها خمسون جملاً ركابها يحملون شتى أنواع السلع والبضائع آتون بها من أسواق الشام يريدون تصريفها في قلب نجد، وعلمت ان هذه الرحلة تستغرق من «قريات الملح» الى «الجوف» تسعة أيام ومن «الجوف» الى «حائل» عشرة أيام ومن هذه الى «بريده» ثمانية أيام ومن هذه الأخيرة الى «الرياض» عاصمة نجد ثمانية أيام أخرى فتكون مجموع أيام هذه الرحلة في أرض نجد فقط خمسة وثلاثين يوماً، وهي مدة اذا أضيف اليها ما يقضيه المسافر للراحة في الطريق بما لا يقل عن خمسة وعشرين يوماً فتكون جملة شهرين كاملين يضاف اليها مدة سبعة عشر يوماً من «الرياض» الى «مكة المكرمة» عدا ما قضيناه هناك لزيارة الحرم الشريف وغيره فيمكن للقاريء قبل المسافر أن يتصور مشقتها على نفسه لاسيما اذا كان حضرياً لم يسبق له في حياته أن أقدم على مثل تلك الرحلة الشاقة وكنت قد استعددت لها فابتعت ثياباً بدوية وساعد طول زمن هذا السفر «لحيتي» فطالت فكان طولها أمراً محتوماً على كل مسلم يدخل

أرض نجد ، على أن رأسي لم تعدم موسى من هاتيك المواسي
النجدية التي كانت عجائزنا في سالف الزمان يخلقن بها « الملوخية »
فكنت أحتمل لحيتي المرسله وثقلها وغضاضة تلك الموسى ، فغبتا
رجاء وصولي الى قلب الصحراء ، ولولا بنية صبر في نفسي ما استطعت
أن أحتمل انعدام وسائل النظافة ووقاية الجسم من أذى الحشرات
اللاذعة ، فالصابون لا يجده الانسان في تلك البلاد إلا بصعوبة زائدة
وبسعر مرتفع جداً ، وكلما يخلع أحدهم ثيابه إلا وهي أطمار بالية
وأسمال لم تمسها الماء ، وأكثر سكان البادية لا يغسلون أيديهم حتى
بعد تناول طعامهم « فصابون العرب الحام » كما يقولون هناك

وقد بات « الملح » التي بدأنا السير معها على ظهور الابل قرية
صغيرة تقع على الحدود الفاصلة بين نجد و امارة شرق الاردن وعلى
مسيرة يوم ونصف يوم من حدود سوريا من ناحية جبل الدروز ،
يحكمها أمير نجدى طبقاً لأحكام الشرع الاسلامي وعدد سكانها
لا يزيدون عن ستمائة نسمة ويعيشون من زراعة القمح وعمر النخل
وتربية الابل والماشية واستخراج الملح الذي يجففونه في أحواض
ويبيعونه لارحالة في قلب البادية ، والضرائب هناك يسمونها الزكاة
فهي تحصل تارة نقداً بحسب سبعة مجيديات على كل ستة ابل
وعن كل عشر ناقات مائة واحد عشر قرشا مصريا ، ورأسان من
الغنم من كل مائة رأس ، والسرقه والفاحشة معدومتان قطعاً في تلك
البلاد ، ويلقبون الحاكم بالامير . وقد استقبلني أمير قريات الملح على

« مصطبة » كان يجلس عليها بجانبه سيفه وحوله عدد من أخصائه وبعد أن قدمت لنا القهوة النجدية طلب إلي أن أظل في ضيافته أياماً، ولكنني اعتذرت لرغبتني بواصلة السفر ، وبعد أن قضيت يوماً دعائي لزيارة قبيلة « بني صخر » في معيته وهي قبيلة تضرب في خيام من الشعر على مسافة خمسة عشر كيلومترا من قريات الملح معروفة بشدة البأس وبكثرة الغزوات ، وسأني على ما يستحق البيان عن هذه القبيلة فيما يلي

وقبل أن نبرح قريات الملح شاهدنا آثار قصر يسمونه « قصر الصعيدي » لا نسبة إلى صعيد مصر ولكن لأنه شيد على هضبة رملية ذات منحور سوداء كبيرة يحيط به سور منها فاذا بلغ رأس هذه الهضبة انكشف أمامه باب من الخشب يؤدي إلى داخه فبرى آثار مقصورات متعددة، وقد اختلف لرواة في تاريخ تشييد هذا القصر فمن قائل ان قبيلة بني صخر التي بعدونها مسرية الأصل وبني عمومهم من الدروز قام منها أخوان وسكنا هذه الجهات فبنا هذا القصر ولكنهما اختلفا بعد ذلك فترح أحدهما إلى جبل الدروز فأصبح منهم درزيا وبقي الآخر في هذا القصر إلى أن مات فاستولى عليه أمراء هذه البلاد وسكنوه مدة طويلة إلى أن عفت آثاره فتهدمت أركانه وأصبحت أطلالا دارة ولم يبق منها إلا الاسم

و « الجوف » على مسيرة تسعة أيام على ظهور الابل ، ومما يستحق الذكر ان هذه الطريق على طولها لم يصادفنا فيها سوى ثلاث

آبار أخذنا منها حاجتنا من الماء . وكان عجبى عظيماً لتلك الأبل التي لم تطفئ ظمأها خلال هذه التسعة الأيام إلا مرة واحدة . على أن رجال القافلة أبلغوني أنها تستطيع أن تظل بلا ماء في فصل الشتاء أكثر من خمسة عشر يوماً . ومن أطف ملاحظته في رفاقي أنهم أثناء أداء الصلاة كانوا يراعون واجب المجاملة باعتباري مصرياً فيبتهلون إلى الله بالدعاء لمصر وأهلها وجلالة مايكها المعظم ، فكانت هذه المجاملة في ذاتها نسري عني وعشائ السفر وتقرب القوم إلى قلبي كثيراً وتشعرتني بعظمة الرابطة الإسلامية التي يدين بها شعوب الإسلام ومع أن أولئك البدو لا يزالون على سداجتهم فهم يدلون بأقوالهم وأفعالهم على فطنة وانتباه إلى ما يصدر منهم ، فلا يتخذون من الشؤون السياسية والمباحث الخاصة برجال دولتهم مثاراً للبحث أو التسلية كما يفعل غيرهم من أبناء الأمم الشرقية الأخرى فهم يقتصرون على ترديد هذه العبارة « الملك لله ثم لعبد العزيز بن السعود » وترامم يقصرون أحاديثهم في طوال أسفارهم على رواية قصص مشاهير العرب من بطولة وكرم وتمسك بأصول الدين والفضائل ، ومع أن الشعر نبت في أرض العرب فإن أهل بادية نجد الوسطى تعده حراماً لأنه تغلب فيه الحماسة دون ذكر الله ، أو الغزل وهذا ما يعده العرب نقيصة خلقية تعافها نفوسهم . وأبلغ مثال على تطور أخلاق العرب أننا سررنا ببتمة تدعى « عشونله » تقع على راس تل رابي في وسط الصحراء ذات تربة طينية لزجة لا يستطيع الإنسان السير عليها ولا

يمكن أن تقربها أقدم الأبل ، ويقول العرب انها كانت مكان « مدينة لوط » التي غضب الله على أهلها كما جاء ذلك في الفرقان ، ويقولون ان بطن هذه البقعة تحوي كنوزاً من الذهب وغيره من النفائس ومع ذلك فلم تحدث نفس أفقر اعرابي في الوصول اليها أو التطلع الى ما يحويه جوفها من كنوز باعتبار ان أرضها نجسة وقد غضب الله عليها وعلى كل من كان يعيش فوق أديمها في غابر الزمان ، وهي نفسية تدل على تدين شديد واستمساك متين بأوامر الله ونواهيه

في الجوف

وفي اليوم الثامن وصلنا الى مكان يسمونه « الفرجية » يحيط به عدة جبال كساعا البرد وأحاطت بها الحشائش الخضراء فبان للناظرين كأبدع ما تراه العيون في سويسرا ذات المناظر الطبيعية البهيجة أضف اليها جمال الصحراء وسكونها الرهيب وجلالها الخاطف للألباب . وهكذا مر بنا ضحى اليوم التاسع مرّ النسيم العليل فأنستنا هاتيك المناظر ما سبقتها خلال الثمانية الايام من طرق موحته وصحراء جرداء . ووصلنا الى بلدة « الجوف » فاعلم رجال أميرها عبد الله محمد بن عقيل بقدمونا حتى خفوا الى اذاننا ، وكان الامير ذاته على أبواب المدينة في انتظارنا ليحيينا ويدعونا لضيافته باسم جلالة الملك ابن السعود ، وهكذا لبينا الدعوة شاكرين . و « الجوف » بلدة صغيرة تقع في واد منخفض تحوطها الجبال

من جيم جهاتها واهل ذلك أصل تسميتها بالجوف أي انها واقعة في جوف الجبال والصحراء . ويكثر فيها النخيل التي يؤتي ثمراً ممتازاً على سواه بلذة طعمه وسرعة هضمه ، ويزرع أهلها كذلك القمح والشعير وبعض الخضر وأشجار الفاكهة كالليمون والبطيخ والخوخ والعنب والمشمش وبشتغلون بالتجارة وبعض الصناعات كدغ الجلد ونسيج الصوف الذي تصنع منه العباءات المعروفة باسم «عبي الجوف» وقد جاء ببعضها الى هنا سمو الامير سعود أثناء زيارته مصر . وتروج هناك تجارة الابل والماشية ، ويكثر في صحاريها طير النعام الذي يتخذه الخاصة والامراء طعاما لهم . وكذلك تكثر الغزلان والحمار الوحشي ذو الخطوط الذي نشاهده في مصر بمحديقة الحيوانات بالجزيرة

السرققة والزنا معدومان

وقد قدم لي أمير « الجوف » من لحم الغزال والنعام طعاما على مائدته فلم أزدرده بشبهة لعدم اعتيادي تناوله ولاكنهم يعدونه أفخر اللحوم وأجلها شأنها في إكرام خاصة ضيوفهم . ولا يفوتني أن أذكر ان الأمير عبد الله بن عقيل لم يكن يدويا قحاً كأكثر أمراء الجزيرة ولكنه على جانب من العلم والاطلاع غير قليل ، وبلاذه تحكم طبقة الاحكام السريع . على ان مما يوجب العجب ان جريمتي السرققة والزنا تكاد أن تكونا معدومتين قطعيا في تلك البلاد ، وأذكر أن أحدهم حضر الي مجلس الامارة أمامنا وأبلغ أن كسيا

من البن ضاع منه على مسيرة أربعة أيام من «الجوف» وهو قادم من جهة «حائل» ومضى الى حال سبيله، وحدث بعد يومين أن حضر رجل كان قد سلك هذه الطريق فسأله الامير عما اذا كان قد وجد شيئاً في الطريق أثناء سفره ؟ فقال انه وجد كيساً من البن ، فسأله الامير . ومن أين عرفت ان به بنا ؟ فأجاب به بأنه جسه من الطاهر بعصاه ثم تركه مكانه، فما كان من الامير إلا أن أمر بضربه خمسين عصاً ، وهنا رأيت أن أسأل الامير عن سبب إنزال هذا العقاب بالرجل وهو لم يسرق . فأجابني قائلاً : كان يجب عليه أن يرى الكيس ولا يلمسه حتى يأتيه صاحبه فيأخذه . وقص عليّ الامير على سبيل التذليل على أمانة أهل نجد وبعدهم عن اقتراف السرقة مهما بلغ شأنها أن يرى أحدهم الذهب في الطريق فلا تمسه يده مهما كان فقيراً معدماً .

وقصر الامارة هناك يتصل ببناء قديم العهد بناه الاسرائيليون في أيام عزم وصولتهم ويطلق عليه اسم «قصر مارد» مشيد بالاحجار وله برج كبير اشبه بقلعة حربية ويتولون انه نبي قبل ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام بأربعمائة عام .

ويمتاز أهل «الجوف» على شدة فقرهم بحسن وفادة التريب وإكرام الضيف ، وسوادهم من أصحاب الابدان لا يبيكون مرضاً ولا يذكرون علة على شفاهم ، واليسر في ذلك هو جودة مناخ الجوف وطيب مائها وخصوبة أرضها . وعلى ذكر الزراعة فهم يستخرجون

ظلاماً للزراعة بواسطة دلاء من الجلد مشدودة بحبال قد ربطت أطرافها بأعناق الابل، فاذا ملئت الدلاء بالماء وشعرت الابل بامتلائها نزلت الى منحدر بجانب البئر وعندئذ تكون الدلاء قد ارتفعت الى علو وأفرغت ما بها من الماء في حوض ذو فتحات متصلة بالأرض المراد ردها، ويسمون طريقة الري هذه «التي»

فشل محاولات استعمارية

وقبل أن نفاذر «الجوف» قص علي الأمير إن جماعة من السواح الامريكان والانجليز طالما حاولوا ارتياد ما بعد الجوف بحجة الاستطلاعات العلمية والجغرافية فلم يأذن لهم الملك ابن السعود مخافة أن يكون لهم شأن آخر كهاتيك الشؤون الاستعمارية التي بدأها أمثال هؤلاء في غير بلاد العرب بمثل تلك الاسباب ثم كانت النتيجة بلاء على أهلها . مثال ذلك أن رجلا انجليزيا يدعى مستر «ابشر» ذهب الى «الجوف» على رأس قافلة من السيارات كلفته أموالا طائلة بحجة اقامة مصنع للانفجار من طينة معروفة بصلاحياتها لهذا النوع فلم يأذن له الملك . وهكذا أصبح معروفًا في بلاد الغرب أن نجداً ان تصلح أرضها لوطء أقدام السياح والعلماء والخبراء والمهندسين الاوروبيين ، حتى أن أحدهم أكد أن في وسعه أن يفتح آباراً للبترول « بالرياض » عاصمه نجد فرفض طلبه مع شدة حاجة أهلها الى البترول وغلاء ثمنه ، في حين ان ابن السعود ليتمنى أن تصل

الى بلاده بعثات علمية من كل مطلب ومشرب على أن تكون شرقية إسلامية بريئة لا مطمع لها ولا مأرب. فهو بحب العلم ويقدره ويرجو لبلاده العمران والرفاه ولكنه يرفض كل ذلك بشدة لو جاءه من طريق مريب .

و « حائل » تبعد عن الجوف نحو عشرة أيام على ظهور الابل ، وقد بدأنا السير في هذه الطريق فاذا بها طريق موحشة بانم ، فكنا نسير صاعدين فوق تلال ضيقة رمالية تشرف على حزون بعيدة الغور ، ثم نهبط منها منحدرين الى مغاور ومجاهل يشردها اللاب وينخاع لها القلب . ذلك لانه اذا اختل توازن الراكب على الابل قليلا أو عثرت أقدام الابل كان الهلاك محققا إذ يسقط في هوة لانجاة منها ، وكانت عيون الماء خلال الستة الايام الاولى معدومة ولولا ما نحمله من الماء على ظهور الابل وما كانت تملأ به أجوافها منه لما كنا نحن وهي ظمأ ، على أننا مع ذلك لم نستطع قط أن نسرف في الماء فلم نغتسل بتليل ولا بكثير منه ، وما كاد فجر اليوم السابع ينبلج حتى وصاما بلدة تدعى « جبه » ذات مبان من طين أبيض يلمت الانظار ، فأخذنا حاجتنا منها بعد أن استرحنا قليلا ، وما كان أكبر دهستي حين أقبل علينا نفر من أهل تلك البلدة يحتفون بنا ويسألون عني بالاسم ، وقد علمت أن بعض رجال القافلة التي سبقتنا أنبأهم بوصول مصري متحضر بنوي زيارة أمير الرياض فكأنهم بذلك عبروا عن سليقة الكرم العربي جملة وناجوا عن أميرهم خاصة .

وفي اليوم التاسع وصلنا إلى قرية تدعى « قنا » وينطقون الحرف
الاول منها بالجيم كما ينطقها أهل مديرية قنا المصرية ، وهذه القرية
صغيرة جداً لا أثر فيها للأخذ والعطاء حتى أننا أردنا شراء شاة
لطعامنا فلم نجدها، على أن ذلك لم يسوّنا كثيراً فقد وصلنا إلى حائل
بعد ظهر اليوم التالي مارين في طريقنا بثلاث قرى أكبرها « أم
جلبان » ولا تزيد مبانيها على أربعة بيوت يحيط بكل بيت بهض النخيل
ولما صرنا على قيد أميال من حائل كان نائب الأمير عبدالعزیز
ابن مساعد بن جلوي، وهو ابن عم جلالة الملك ابن السعود في استقبالنا
وقد رحب بنا باسم أميره وسار بنا حتى دخاننا « حائل »

في حائل

« حائل » هذه اسم على معنى فهي حائل بين بلاد نجد
وبين ملحقاتها الشمالية وتعد بالنسبة إلى غيرها من البلاد التي مررنا
بها مدينة عامرة ذات شوارع فسيحة منظمة وفيها سوق كبيرة تروج
فيها تجارة الماشية والابل ، وهي أقرب بلدان نجد إلى الحجاز فهي
تبعد عن المدينة المنورة بنحو ثمانية أيام فقط ، وإلى الشام بنحو
خمسة عشر يوماً ، وإلى العراق بما يقرب من ذلك على ظهور الابل
وهي محطة رحال التجار القادمين من هاتيك الديار والمسافرين إليها
وتروج فيها تجارة الارز الذي يجلب من الهند إليها وهو بمثابة مادة
أولى للغذاء نظير الحنطة في مصر ، وتزرع في جوارها مساحات

كبيرة من الخضر والفاكهة ومع كثرة وجود النخيل فان ثمره رديء غير مرغوب فيه إلا عند الطبقة الفقيرة جداً . وقد شاهدنا بعض المسوة يبعن الخبز والفاكهة والخضر والدجاج والبيض في سوقها وهن محجبات بجلابيب سوداء وفوقها جلباب بشكل العباة وهن في ضية الحشمة والوقار لانسمع لمن صوتاً ولا يتحدثن مع السابلة إلا بالقدور اللازم لبيع ما بأيديهن من السلم .

أما المقصودون هناك فينحرون الماشية ويقسمونها إلى أربعة أجزاء يسمونها « أوصالا » فيبائع الجزء منها بمبلغ يتراوح بين العشرة والثلاثة عشر قرشاً ، أما أثمان الدجاج فرخيصة . بدأ إذ تباع الدجاجة الكبيرة بثلاثة قررش فقط :

وأهل هذه المدينة يتعاملون بعملة فرنسية يسمونها « الشوشي » ويسمونها بعضهم الريال وهي قطعة فضية قيمتها احد عشر قرشاً تقريباً ، أما أجزاءها فهي « البيشلي » قطعة من عملة تركية وهي المعروفة بالبيشلك بخلاف أهل قريات الملح والجوف فانهم يتعاملون بالمجيدي التركي .

في ضيافته أمير حائل

وفي اليوم التسالي اوسولنا دعانا الامير عبد العزيز بن مساعد في قصر الإمارة وقد استقبلنا فيه استقبالا حسناً وأنزلنا بمنزل خاص ورتب لنا خدمة خاصة ، وهذا الامير ينحيل للرائي لأول

نظرة أنه على شيء من العجرفة والكبرياء، ولكنه في الواقع على جانب كبير من رقة الشئائل ومكارم الخلال، وهو مطلق الحكم في أقليمه وما يجاوره من ملحقات نجد الشمالية فهو الحاكم المسوع الكلمة النافذ الارادة بعد الملك ابن السعود . ومما يستحق الذكر أنه معروف بالشدة والبطش اذا خالف أحد أحكام الشرع أو أخل بالأمن العام . ويستخدم هذا الامير في روحانه وغدوانه وأسفاره سيارتين يوثى لهما بما يلزمها من وقود وأدوات من القدس وشرق الاردن ويقوم بقيادتهما سائق سوري يساعده آخر نجدى .

وقد دعانا أحد رجال القصر لمشاهدة سجن المدينة وكنت أحسبه عامراً بالمحكوم عليهم ولكنى بهت حين وجدته خالياً إلا من حراسه الذين ما كانوا يحرصون غير جدرانهم وخشبتهم المستطيلة الاقية التي تتدلى منها سلاسل حديدية تقيد بها أقدام المسجونين — ان وجدوا — وقد عرفت السر في خلو السجن من المسجونين . ذلك لان الاحكام الشرعية وحدها هي خير وازع تقطع خط الرجعة دون الجرائم على أشكالها وضروبها ، وقد علمت أن المسجون رغماً عن قيوده داخل سجنه فانه يعامل معاملة حسنة ويطعم طعاماً عادياً ، ويؤذن له بأداء الصلاة في أوقاتها ، والناس على اختلاف مشاربهم يحترمون القانون الشرعي ويعدونّه تنزيلاً سماوياً لا سبيل إلى مخالفته وحائل ذات مناخ معتدل وفيها عين ماء عذبة شافية من العلل يسمونها « ماء السباح » لا تقل أهمية عن مياه « فيشى » المعدنية الشهيرة

فهي تذيب الاملاح وتشفي امراض الكلى بسرعة وتنقي الدم وتساعد على الهضم بصورة مذهشة، وأمامها عيونها الاخرى فلا بأس بها أيضاً بذلك على ذلك اعتدال صحة سكانها وامتلاء أجسامهم ، واطتاع الامراض بينهم ، وقد كانت حائل فيما مضى عاصمة للملك ابن الرشيد الذي كان أميراً عليها من لدن آل سعود واستقل بها زمناً ثم أعيدت إلى حظيرة آل سعود مما سناني عليه بعد .

وأهل حائل أصلهم من قبيلة « شمر » التي كانت تضرب في البادية ، فانقسمت على نفسها ورحل جزء كبير منهم إلى حائل فتحضروا فيها وظل الجانب الآخر على حالته ، ويشاهد في حائل « الاخوان » الذين يسمونهم « الحبان » وهم يعرفون بعماهم الكبيرة التي يضعونها فوق كوفية حمراء يسمونها « القطرة » وهي تختلف أوضاعاً وحجماً فمن كانت عمامته متوسطة الحجم كان عادياً أما من ظهرت عمامته أكبر حجماً عرف بأنه شيخ من خاصة الحبان وللحبان في بلاد نجد المقام الاكبر والمكان الذي يفوق سواهم من عرب البادية ، فهم أصحاب الغزوات المشهورة في حائل والاحساء والحجاز ، وكانوا إلى ما قبل بضع سنوات لا يعرفون من الدين إلا اسمه ولكنهم الآن باتوا على معرفة كبيرة بأصول الاسلام وقواعده وأوامره ونواحيه ، واليه مرجع الفضل في اخضاع الحجاز إلى ملكهم وطرد الحسين وأولاده من الأراضي المقدسة ونشر تعاليم السنة المحمدية في نجد والحجاز على السواء .

في بريدة

مدينة « بريدة » على مسيرة ثمانية أيام في طريق سهلة
وكانت أول قرية صادفناها قرية تدعى « العدو » يحيط بها أراض
مزرعة بالغلل وجبال شاهقة الارتفاع ذات منظر ساحر على عيها
أرض رملية يضرب لونها الى وهج الذهب تؤلف منظراً يخطف
الالباب وحدث أثناء سفرنا أن اقتقد أحد رجال قافلة تقدمتنا في
السفر ناقة له أثناء الليل فأرسلوا بعض رجالهم للبحث عنها، فعادوا
وأخروا بأنهم لم يعثروا عليها وفي الاثناء حضر بدوي وأبلغهم أنه
شاهد ناقة في طريقه وأعطى أوصافها وكانت هي الناقة الضالة. وذكر
أنه كان في وسعه أن يقودها معه اليهم لولا خوفه من أن يتهم بسرقتها
فشكره صاحب الناقة . وهكذا جد رجال القافلة حتى عثروا عليها
قبل أن يصل أمرها إلى ولاية الامور . فاستخلصت من ذلك ما أيد
لي أمانة القوم وانعدام حوادث السرقة انعداماً باتاً في قلب نجد .
ووصلنا إلى بريدة بعد مسيرة عدة أيام. صادفنا نحو أربعة قرى
هي « الكفة والجوارة ووثال والشقة » وينزل في ثانيتها بعض الاخوان
المتحضرين منذ زمن بعيد ، وبجوار البلدة الرابعة جبل يستخرج
منه الملح دون أن يدفع عنه الاهالي ضريبة أو ثمناً . وكان أمير بريدة
قد بلغه خبر قدومنا وهو يدعى مبارك بن مبيريك فخف لاستقبالنا

باسم جلالة الملك ابن السعود استقبالا هو غاية في الود ونهاية في الكرم،
وأنزلنا في داره ضيوفا كراما .

و « بريدة » هذه تقع في سهل رولي ذات مبان متعددة كحائل
تحيط بها المزارع وأشجار النخيل ويمتاز ثمرها بقصره وسمنته
والاهالي هناك يجففونه ويسموننه « اليبيس » وأحسنه ماتنتته نخيل
« عنيزة » ومع أنه شديد الحلاوة لذيذ الطعم الا أنه غير سهل الهضم .

باريس نجد

ويعدون بريدة عاصمة لسائر القرى التي تحيط بها وهي في
جملتها تدعى « القصيم » وأم مدنها « عنيزة » وهي التي أسماها
الشاعر الأشهر أمين الريحاني عند زيارته لها « باريس نجد » . ذلك
لان منازلها مؤلفة من ثلاث طبقات على نسق مبان المدن المتحضرة
وأهل القصيم ولا سيما سكان بريدة وعنيزة يعدون أغنى أهل نجد
جميعا وأكثرهم تحضرا وأنشطهم حركة وأعرفهم بأساليب التجارة
ولقد رأيت كثيرين منهم في الشام ومصر يتبادلون المتاجر فيجلبون
الى مصر مثلا الخيل والابل والماشية والجلود والسمن ، ويتتاعون
الاقمشة وشتي أنواع المصنوعات والسلع ، بل منهم من له شأن تجاري
يقبض عليه في أسواق الهند ومدن الحجاز ، وكان ذلك سببا في تطور
أخلاقهم وعاداتهم وميلهم الى الاخذ بأساليب المدنية وسهولة الطباع
وعدم التعصب لمذهب دون آخر ، زد على ذلك أن في وسع الغريب

عن ديارهم أن يفهم لهجة كلامهم بسرعة فاذا أضاف بعضهم غريبا متحضرا أدهشه ما يراه على مواعدهم من أصناف الاطعمة ولوازم المائدة مما يجعله لا يصدق أنه في قلب نجد ؟ كما أتت لاحقت بعضهم يدخن سرا . وعلى ذكر الدخان الذي يسمونه النجديون « التين » أقول أنه لا يوجد له أثر في نجد فاذا عثر عليه عوقب صاحبه كما يعاقب محرز الحشيش والمخدرات السامة في مصر وعلى ذكر سكان بريدة فيما أسلفنا نذكر أن جلالة ابن السعود يختار عادة من مفكر يهاور جاهلها المتعلمين من يمثلون بلاده في الخارج أمثال حضرة الشيخ فوزان السابق معتمده في مصر والشيخ بس الرواف معتمده في سوريا .

الى الرياض

مضينا في « بريدة » ثلاثة أيام ثم استأنفنا السفر الى « الرياض » عاصمة نجد . وللوصول اليها طريقان : طريق « الوادي » وطريق « المستوي » وثانيتها أقصر من الاول . وحدث في الاثناء أن أذيع خبر عودة جلالة الملك عبد العزيز من المدينة المنورة الى عاصمة نجد للمرة الاولى بعد فتحه الحجاز ، فاخترنا طريق المستوي كي نعجل بالوصول الى الرياض لنشهد حفلات استقباله وقد قطعنا اليوم الاول في طريق رملي ذو هضاب رملية ووصلنا الى قرية تدعى « أبو شيجر » بعد مسير أربعة أيام ومن هناك علمنا أن جلالة الملك وصل في موكب أنخم مؤلف من ست وعشرين سيارة في ذلك اليوم

ولم أر ما يستحق الذكر خلال هذا الطريق سوى أن أهل القرى هناك يأكلون الجراد وهم ينتظرون مواسمه كما ينتظر سكان مصر موسم السماء . . وأغرب من ذلك أنهم يتفألون بالخير إذا أقبل موسمهم بقدر ما يتشاءم منه أهل مصر ويتسلح الفلاحون المصريون لمطاردته . ومما يتحدثون عن فوائده من نجد أنه مغذ كاللبن شاف للعلل كالعرياق حتى بلغت بهم شدة الشغف لأكله أن يتخذوا منه قديدا ولا أدري أم يقدرونه بطريقة التعقيم أم بطريقة أخرى لا تزال غائبة عن معامل برشلونة . . وقد قص علي أحد رجال القافلة أن بعض كبار التجار النجديين في مصر لا يزالون على عهدهم بقديد الجراد ، يرسل إليهم في أكياس هي عندهم أعز من أكياس الحلوى التي تهدي في الأفراح . .

ومررنا على بلدة «شجرة» وهي كائنة في وسط إقليم يسمى «الرم» وهي ذات تجارة مترسطة وبعدها عاصمة ذلك الإقليم ومررنا كذلك على بلدة تدعى «البره» إلى أن وصلنا إلى مدينة «الدرعية» بعد مرورنا على اطلال قرية يسمونها «العينة» التي نشأ منها «مسيلة الكذاب» الذي ادعى النبوة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام . و «الدرعية» مدينة أثرية كانت عاصمة لنجد وفيها نسأت أميرة آل سعود ومنها ظهرت الدعوة الوهابية وحوطها دارت الحرب بين جنود المغفور له إبراهيم باشا والي مصر وبين الوهابيين ولا تزال آثار مدافعه بادية للأنظار في خرائب مدينة الدرعية القديمة .

عاصمة نجد تستقبل ملكها

بلغنا « الرياض » في صباح اليوم الثامن وكانت المدينة قد لبست زخرفها وانتشرت معالم الابتهاج بوصول مليكها اليها بعد فتحه الحجاز وقد امتلأت بلوفود من أقصى أنحاء نجد للترحيب بمقدمه

تعطفات ملكية

وكانت جلالة الملك قد علم بقدمونا فأرسل مندوبا عنه لاستقبالنا بباب المدينة وسار بنا الى قصر جلالته وقد دخلنا عليه لأول مرة فاذا به يستقبلنا استقبالا وديا كأننا كنا على صداقة قديمة بيننا وبين جلالته ولما علم فرضنا من رحلتنا سر وأظهر عطفه على رغبتنا في استطلاع أحوال شبه الجزيرة العربية وأمر باعداد منزل خاص لاقامتنا وطلب الينا أن نحظى بمجلسه في أي وقت شئنا ومن ثم أخذنا نتعرف بكبار ذوي الشأن في عاصمة نجد لنستطلع ماجل ودق من شؤون البلاد جملة وتفصيلا . وبدأنا نجمم المعلومات الدقيقة عما كان قبل اعلان الحرب على الهاشميين وفي خلال تلك الحرب وما جرى بعد ذلك من التطورات حتى الآن مما سنأتي عليه

وصف العاصمة النجدية

القصور الملكية

« الرياض » تعد أكبر مدن نجد وأعظمها شأنا باعتبار أنها

عاصمة الديار النجدية ذات مبان متعددة بينها عدة عمارات كبيرة أكثر شيها بمنازل أعيان أقاليم القطر المصري ، أما قصور أمراء الاسرة المالكة فتمتاز عن سائر مباني الرياض باتساعها وبها شكلها ويحيط بالمدينة سور فخم له عدة أبواب كثيرة على مثال أبواب المدن الشرقية في سالف الزمان وهي تقفل عند اللزوم . وتحيط بالعاصمة المزارع وأشجار النخيل وهناك مزرعة خاصة بأمراء البيت المالك لم يستوقف نظري فيها سوى بعض شجيرات من الورد وأخرى من القطن ، ولعل في زرع شجيرات القطن معنى خاصا يجول في نفس جلالة ابن السعود هو ذات المعنى الذي جاء في نفس المغفور له محمد علي باشا محبي مصر يوم أمر بزرع بعض شجيرات من القطن المرة الاولى في مصر في حديقة قصره ، فلما أعجبه شكلها وسره تفتح لويئات القطن وظهور خيوطها البيضاء وما كان منه بعد ذلك حيث أمر بتعميم زراعته في سائر بلاد القطر فكان ذلك سببا في رخاء البلاد وسعادة العباد . على أن تحقيق هذه الامنية السعودية قد يتم على مدى الزمان اذا أعدت الاراضي التي تصلح للزراعة ومهدت لها وسائل الري

وفي الرياض عدة مدارس دينية أشبه بكتاتيب المساجد عندنا يدخلها الصبيان فيتعلمون مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يتبحر في العلوم الدينية إلا النادر من الذين يريدون الانقطاع لخدمة العلم والدين فيلقنون تفسير القرآن وأحكام

الشرع ومن هؤلاء يتخرج أئمة المساجد ورعاظها . وفي الرياض ستة مساجد خالية من مظاهر الزخرف والفرش بغير قباب وأغلبها بغير سقف وتقام صلاة الجماعة في أيام الجمع والعيدين في مسجد واحد . ويبلغ اهتمام بعضهم بسماع الخطبة المنبرية أن يبكر في الحضور إلى المسجد ليأخذ له مكانا فيه خشية الزحام فإذا طرأ عليه ما يستوجب مبارحته المسجد وضع عصاه أو أي شيء آخر في مكانه ومضى إلى سيوله حتى إذا أذن للصلاة عاد إلى مكانه دون أن يرى من يجرؤ على احتلاله ، ولا تعمل القناديل في إضاءة المساجد ليلا فيكتفون ببعض الشموع ، ومن أعجب ما لاحظته عند صلاة الفجر بعد الانتهاء من الصلاة أن ينادي المؤذن بأسماء الذين اعتادوا الصلاة في مسجده فإذا تخلف أحدهم دون عذر شرعي عوقب للمرة الأولى بمصادرة « كوفيته » فإذا عاد عوقب بأخذ « عبايته » أما إذا عاد للمرة الثالثة فيأمر به مجلس الشرع بالضرب والسجن عدة أيام .

وقد جرت العادة بعد صلاة الجمعة أن يجلس الملك ونائبه في ردهة القصر الملكي ويستقبل المصلين فيمر بهم الساقى بالشاي ثم بالقهوة النجدية ومن ثم يطوف بالحاضرين رجالان يحملان مبخرة يتضوع منها عبير المسك والعنبر ويعدون هذا بعد صلاة الجماعة مسك الختام فيبتهلون بطول العر والتأييد للملك .

أما القصر الملكي فهو مشيد على نمط عربي صرف يتميز في وسطه أعمدة من الجبس الأبيض الناصع ذات نقوش عربية تستوقف الانظار

بدقتها وجمالها وهو يتألف من طابقين . الطابق الاول وفيه قاعة
المائدة الخاصة بضيوف الملك الاخصاء ، وغرف أخرى خاصة باطعام
اللاجئين لساحته الملكية من فقراء البدو والسابلة ، أما الطابق
الاعلى ففيه عدة ردهات كبيرة وبهو يسع نحو ثلثمائة شخص ، وقد
خصص جناح للديوان الملكي يشمل مكتبة الملك الخاصة وديوان
سمو الامير سعود وغرف خاصة لسكني كبار موظفي القصر وطبيب
الملك الخاص . ويلصق ببناء القصر بناء كبير خاص بالحرم
والوصيفات والجواري والعبيد وعددهم جميعاً لا يقل عن اربعمائة
شخص بين ذكور واثان .

جلالة الملك عبد العزيز

وأما جلالة الملك عبد العزيز بن السعود فتويل القامة متمليء
الجسم ، نحاسي اللون ، براق العينين ، سمح الحيا ، يضع على عينيه
نظارة وتبدو عليه مخايل الذكاء المارط وقوة الارادة وشدة العزم
مع سماحة الخلق وأناة وتدبر في كل ما يخرج من فمه من الكلام وجلالته
يناهز الخمسين من عمره وقد أصيب في ابهام يده اليسرى برصاعة أثناء
الحرب فتركت أترأ ظاهراً فيه حتى الآن ، ومن عادته اذا سار خنفض
برأسه نحو الارض ويلبس عباءة نجدية مزخرفة بالذهب كثيراً ما يرفع
جزءاً منها تحت أبطه ، لا يسرع أثناء سيره ، وهو محبوب من شعبه ،
لا يتوجس خيفة شمر من أحد ، فلا يهتم كثيراً بملازمة الحرم إياه

أول حديث ملكي معنا

ومما يجدر بي ذكره أنه بعد أن مثلت بين يدي جلالة الملك
كن أول ما ابتدرني به من الحديث أنه هنأني بسلامة الوصول
وظفق به أنني باهتمام عما شاهدته أثناء سفري الطويل الشاق فكان
يتسم ابتسامات الإعجاب كلما أجبته على سؤال بما لا يخرج عما أسلفت
بيانه في مقالتي السابقة . ومن ثم بدأ جلالاته بحديثي قائلاً « ليس
عندنا سرى دين واحد ومذهب واحد والجميع يؤدون الصلاة وراء
امام واحد وهذا ما نشكر الله سبحانه وتعالى عليه . نعم إن المذاهب
أربعة ولكننا نعتقد أن مذهب الامام ابن حنبل هو أقرب المذاهب
لسنة النبوية السمحة فلا نجد عندنا إلا ما يقوله المسلم لأخيه المسلم
السلام عليكم وهم مرتبطون جميعاً بكلمة التوحيد وعلى هذا الاساس
يقوم ملكنا والحمد لله ، نحن لانبغي الملك لذاته فالملك لله الواحد
القهار ، فوالله وبالله لو أعطينا ممالك الارض طراً وأحسننا أن بعضها
شركا لبعدها عنها همد السماء عن الارض ، وليس بعيننا أن نقاتل
الكفار ولا نبغي إلا أن يهديهم الله سواء السبيل ، فما داموا
بعيدين عنا فليس ينالنا منهم شيء . ولا نحب أن نذهب إلى ديارهم
ولا أن نتشبه بهم حتى ولا ترتدي شيئاً مما يلبسونه ، إن المسلم الحقيقي
هو الذي يتبع أصول دينه ويرعى أمر الله فمن شابه الكفار أو تشبه
بهم فلا خير له في الدنيا ولا الحياة الآخرة »

تلك هي النفسية الدينية التي يدين بها الملك عبد العزيز الذي
بحكم اليوم أرض نجد والحجاز ويقبض على ناصية الامر فيها يدين
حديد ، ولعل للاحكام الشرعية التي هي أساس قيادة الشعبين الأثر
الفعال في قطع دابر حوادث السلب والنهب والاعتداء على الارواح
والاموال والاعراض كما كان يحدث قبل في بلاد الحجاز وتأمين
حجاج بيت الله الحرام من هذه الناحية ، ومع أن البدو أناس لا يخضعون
لحكم أو سلطان فمن العجيب أن يسرى بينهم حكم الشرع ويخضعون
له ذلك الخضوع ، فمن البديهي أن دهاء هذا الملك ومقدرته على
استمالة النفوس التي تأصل فيها الشر والفوضى منذ عدة قرون كانت
هي العامل الفعال لاستقرار حكم الشرع بين تلك القبائل .

وإذا ألقينا النظر على شكل حكومته لانبجذ فيها هيئة وزارة ،
ولا مجلس وكلاء ، ولا مستشارين ، ولا رجال تشريع بالمعنى الذي
نفهمه نحن ، فالاموال العامة تنجي من الاهالي بغاية السهولة وتحت
تأثير حكم الشرع ويتولاها رجل واحد هو موضع ثقة الملك وحاشيته
فأكبر مبلغ وأقل مقدار من المال سواء أكان لمصلحة عامة أو خاصة
إنما يصرف بموجب قطعة ورق يكتب عليها الملك أو نائبه أمر
الصرف دون الحاجة إلى ادارة خاصة بالحسابات وعدد كبير من الموظفين
ويتحتم أن تعرض سائر مكاتبات الدولة في كافة شئونها عليه وكذلك
يطلع بذاته على ما يتحرر من المكاتبات ويبصمه بخاتمه الذي لا يفارق
أصبعه . هذا فيما يتعلق بحكومة نجد فقط ، أما الحجاز ففيها حكومة

منظمة وادارات متعددة كادارة الامن العام وادارة الشئون الخارجية وغيرها ، على أن المرجع الاعلى لكافة شئون الحجاز أيضا يجب أن تعرض على جلالة الملك عبد العزيز شخصيا

المناداة بالسلطان عبد العزيز ملكا

ولنعد إلى الرياض فقد ذكرنا بأن جلالة الملك كان قد وصل إليها قبل أن تبلغها بأربعة أيام بعد أن غاب عنها زهاء ثلاث سنوات قضاهما في الحجاز بعد انتصاره في الحرب المعلومة ، فكان يدهيا أن تنتشر معالم الافراح عند عودته فاتحا ومنصوراً ، وبعد غيبة طويلة لم يسبق لها نظير من قبل ، فقد غصت المدينة بوفود من أطراف البلاد للترحيب بمقدمه وكانت مناظر ساحرة يدهيا أولئك الوافدون من مظاهر التأهيل والاعتباط في وسط جنل آل البيت السعودي فكنت ترى العطايا الملكية تفيض على فقراء الوافدين والهدايا تعطى لكرامهم وألسنة الجميع لاهجة بالشكر والحمد .

وقد دعيت لحفلة اعلان المناداة بجلالة عبد العزيز ملكا على نجد بعد أن كان سلطانا وقد قاضت فيها ألسنة الشعراء والخطباء ببيان صفات مليكهم وما أحرزه من فخر الانتصار في فتح الحجاز وقد قال أحدهم «مادامت الحجاز أصبحت من أملاكنا فلا يجوز أن نتفرد بوصف أنها دولة ملكية دون نجد التي لا تقل عنها شأنا»

حفلة زواج الاميرة سارة

ودعيت لحضور حفلة زواج الاميرة سارة ابنة جلالة الملك على ابن عمها الامير فيصل بن سعد ، فكانت حفلة غاية في البساطة فقد فرشت ساحة القصر بالبساطة الفخمة ومدت الموائد الشبيهة وبعد ان تناول المدعوون ما لذ لهم وطاب امر جلالاته بنحو خمسمائة شاة وتوزيع لحومها على الفقراء والمعوزين . وبعد انصراف المدعوين جيء بأحد العلماء وتولى اداء المراسم الشرعية ، فكانت حفلة عربية أمثال تلك التي حدثنا عنها السلف الصالح ببساطة مصحوبة باسداء التكرمه للجهائم والمحروم وابن السبيل ومظهر من مظاهر تعلق الشعب بملكه ومثل أعلى في تقرب الملوك من رعاياهم .

وأهل الرياض يشغلون بجلب المتاجر من « الاحساء ، والكويت والجرين » يتبادلون وتلك البلاد مصنوعات نجد وماشيتها ، بل هناك مورد عظيم هو اجادة النجديين استخراج اللؤلؤ والمرجان من قاع الخليج الفارسي ، أما الحالة الزراعية فليست بذات شأن يذكر حول الرياض اللهم إلا بقدر حاجة السكان فيمكن أن توصف الرياض والحالة هذه بأنها مركزي تجاري ومقر حكم تلك البلاد لا أكثر ولا أقل . ويتداول الاهالي هناك بالجنيه الانكليزي والعماني والروبية الهندية والريال الشوشي الذي أسلمنا ذكره عن « حائل » وأجزاء هذه الريال « الجديدة » بينما أجزاءه في حائل « البشالك » ويساوي

الريال في الرياض ٤٣ جديدة وأجزاء الجديدة ستة قطع من البرونز
مطلق عليها اسم (بيزه)

عند الامير سعود

وقد دعاني سمو الامير سعود إلى زيارته في قصره الخاص
فكان أول ما بتدري به قوله (لن أنسى ما عشت أهل مصر وحفاوتهم
بي كما لا تبرح عن مخيلتي تلك المكارم التي طوقت بها عنقي الحكومة
المصرية ، ولا أنسى على مدى الدهر عطف حضرة صاحب الجلالة
الملك فؤاد الابوي أثناء تشرفي بمقابلته السنبة فهي صفحات خالدة
ما فتئت أقلبها منذ وطئت قدماي أرض بلادتي بعد عودتي من
مصر ، وإن قومي ليحفظون كل ذلك لمصر وبعدون كل مانته من
مظاهر الحفاوة والتكريم إنما اختصوا هم به فكان موجها لهم بالذات
قال : ولن أنسى كذلك أن أخص بالشكر رجال الصحافة المصرية
الذين برهنوا على عظيم محبتهم للإسلام وأهله . واني لذلك لازلت
أدعو لمصر بكل خير وآتمنى من صميم قلبي احكام صلوات الود
والصفاء بين البلدين)

حياة الملك اليومية

لقد اعتاد جلالة أن ينهض قبل انبثاق الفجر دون أن
يلزم أحداً من خاصته بالنهوض في ذلك الوقت وبعد أن يتوضأ
ويتلو ما تيسر من القرآن الكريم ويؤذن المؤذن بصلاة الفجر يقصد

الى مسجد القصر حيث يكون في انتظاره هناك عدد من عبيده
فيؤدي صلاة الفجر ومن ثم يعود الى ايوانه فيتناول طعام الافطار
مع من يكون حاضرا من ابناءه وأفراد أسرته حتى اذا فرغ من
هذا انتقل الى مكتبه الخاص في ديوانه فيأخذ في مطالعة الرسائل
واستعراض بعض المسائل وبحثها وإبداء رأيه كتابة ويظل كذلك
حتى بعد شروق الشمس بساعة ، ومن ثم ينتقل الى احدى قاعات
الاستقبال حيث يستقبل بعض أخصائه ويرسل في طلب بعض من
لهم به شأن هام وبعد ذلك يستقبل وفود « الاخوان » فيقضي في
الاحتفاء بهم ومسامرتهم وسماع ما يدلون به اليه من الاقوال
والاحوال وقتاً غير قليل ، ومما يذكر أن أولئك الاخوان
يتحدثون الى مليكهم كأنما يخاطبون واحدا من اخوانهم البدوي
الصحراء وليس ذلك منهم كما يتبادر الى بعض الازهان « جملفة
بدوية » ولا قلة احترام ملوكهم ولكنهم يفعلون ذلك تمسكا بسنة السلف
الصالح والسير على ما كان عليه انسلمون في أيام الخلفاء الراشدين ،
مثال ذلك اني رأيت أحدهم يخاطب مولاه الملك بقوله « يا عبدالعزيز !
فاستكبرت منه ذلك وكدت لا أصدق سمعي لحقارة شأن المتكلم
وسعة صدر جلالة المخاطب لولا أن أحدهم همس في أذني قائلا « ذلك
هو الدستور الذي شرعه لنا هذا الملك فهو يقبله على العين والرأس
ولا يرضى سواه بديلا »

في المجلس الكبير

وعند الضحى ينتقل جلالاته الى قاعة تعرف باسم « المجلس الكبير » حيث يجتمع فيها عادة أمراء الاسرة الرشيدية والعايدية وهذه الاخيرة هي الاسرة التي كانت تحكم بلاد أبيها التابعة لحكم نجد الآن وكذلك بعض كبار أعيان نجد وزعماء باديتها ، وهناك في هذا المجلس يستعرض جلالاته الشؤون العامة في كل مادي وجلي .
فبينما تراه يعلق على حديث نبوي اذا به يصل هذا التعليق بمسألة عامة أو بمحادثة تاريخية أو بأمر مستقبل يريد أن يوميء اليه بهـ هذا الحديث ، ومع أن جلالاته صريح في بيانه فهو يتجنب بقدر الامكان المغالز والايماء وما عساه أن يؤول تأويلا مسيئا ولا سيما عند بعض أفراد أسرة آل الرشيد وآل عايد . ولهذا المناسبة أذكر أن جلالاته تفضل بدعوتي الى هذا المجلس وفي الاثناء افت نظري الى نبذة في إحدى الصحف السورية جاء فيها أن السيد عبد الله بن عايد ترك مكة المكرمة وانه حشد جيشا على جلالة الملك ابن السعود في حين أن السيد المشار اليه كان بين الحاضرين في المجلس ا فلما قرأت هذا ابتسمت وقلت لجلالاته (وما آفة الاخبار إلا رواها) فلا يصح يا صاحب الجلالة أن تكون مثل هذه الرواية المكذوبة دليلا قائما على ان الصحف سواسية في هذا الباب . يدل ذلك ان الصفاة المصرية مثلا شديدة التدقيق في رواية الاخبار فهي لا تقنع من صحة

رواية بما يصل اليها من مصدر معين إلا اذا تثبتت كل التثبت من صدقه ، وكذلك الشأن في كل صحيفة تحترم نفسها ولا تبغي سوى تقرير الحقائق وانارة أذهان الجمهور بها . وهنا قال جلالاته انه يجلب الصحف المصرية ويعتبرها في طليعة صحف العالم الاسلامي وما كان يقصد من لفت نظري الى تلك النبذة إلا ليلفتني كصحفي الى أن كل ما يقال غير صحيح وان جلالاته وجيرانه وكل من يتصل بملكه من كبار رجال العشائر وأقطابها على اتفاق ووثام ، فأمن المجلس على قول جلالاته وفي مقدمتهم السيد عبد الله المذكور

وبعد أن ينمض ذلك المجلس يذهب جلالاته الى القصر الخاص الذي يقيم فيه والده الشيخ وهو رغما عن كونه في العقد التاسع من عمره على جانب عظيم من الذكاء وسرعة البديهة ورقه الجانب فضلا عن كونه محبوبا من سائر أهل نجد ، وبعد أن يقضي في حضرته برهة ينتقل الى زيارة كبرى شقيقاته الاميرة « نوره » التي يجلبها جلالاته ويضعها في مكان خاص من نفسه فقد جرت عادة أهل نجد انهم ينجسون كبرى شقيقاتهم بأجلى مظاهر التوقير والاجلال . ومما أذكره أيضا بالشكر واشاء لهذه الاميرة الجليلة ذلك الكرم العربي ومكارم الخلال فقد كانت تبعث إلي يوميا بمختلف ألوان الطعام ولا تنفك تستفسر عن حالي وتباليغني إكرام جانبي .

ومن عادة جلالاته بعد أداء فريضة العشاء أن يطوف بموظفي ديوانه ويستطلع مالديهم من الاعمال ويزودهم بما يعن له من الآراء

وفي بعض الاحيان عند ما يرى الظروف مناسبة يستقل سيارته ومعه
بعض أفراد حاشيته ويذهب للصيد والقنص في البادية ، وقد رأيت
بين سيارات جلالة سيارة يهتم بها جسد الاهتمام ولا يركبها إلا في
الحملة الهامة ، تلك هي السيارة المعظمة التي أهداها اليه حضرة
صاحب الجلالة فؤاد الاول صاحب النيل .

بين زعماء قبائل نجد

وعلى ذكر ماروته بعض الصحف أثناء وجود سعادة الطيب
بك الهزازي رئيس دياره ان جلالة الملك ابن عبد العزيز في مصر
أخيراً عن وجود خلاف بين بعض زعماء قبائل نجد أمثال فيصل
الدويش زعيم قبيلة الارماوية وسلطان بن مجاد زعيم قبيلة الغطفط
من جهة وبين جلالة ابن السعود من جهة أخرى ، أقول اني سمعت
شيئاً في هذا الموضوع أثناء وجودي في «الرياض» ذلك انهم يعزون
وفوق ذلك الخلاف الى حادث الاعتداء على المحمل في منى فقد قيل
ان القتلى من النجديين كانوا من قبيلة فيصل الدويش وقد اعتبر
بعض علاة هذه القبيلة ان تصرف جلالة الملك عبد العزيز كان مهيناً
لهم وكان من واجبه أن يثار لهم ، ولكن ما كان أخيب رجاء الغلاة
عند ما علموا ان فيصلاً هذا ذهب الى «الرياض» عقب وصول جلالة
الملك بعد أن تعرف على الحقيقة من جلالاته وأمن عليها وانقضى
بذلك كل قيل وقال .

أما سلطان بن مجاد فقد قيل ان نزاعاً قام بينه وبين جلالة الملك على تطبيق بعض الامور الشرعية ولكنه بعد أن تبين الحقيقة قصد الى «الرياض» وقابل جلالة الملك وخرج من لدنه شاكراً . ولكن يظهر ان بعض دعاة السوء أرادوا بث دعايتهم في قلب نجد بعد أن فشلوا في الحجاز فلم يفلحوا ، وهكذا عادت المياه الى مجاريها واتقضى الأمر .

عقائد النجديين في الحياة والخلود

ومما يستحق الذكر عن عادات أهل نجد أنهم يعتقدون أن النجدي سواء أكان حضرياً أم بدوياً إنما خلق لعبادة الله وطاعة شريعته وأنه كتب له في لوح القضاء أجلاً محدوداً فعليه أن يعمل في حياته ما يرضي الله الى يوم مماته وفي يقينه أنه منتقل الى جوار ربه فيجازي على ما كسبه يده إن خيراً فخر أو شراً فشر ، ومن هنا يجيء علة انعدام الجرائم على اختلاف ضروبها حتى في الحرب ، فهم يعتقدون أن من قتل عدواً لدين الله وشرعة نبيه الكريم دخل الجنة ، ومن قتل منهم في سبيل الله فقد أجزل له ثواب عمله ، فترى البدوي منهم وهو في سبيل الجهاد يحمل أكفانه وهو ممتليء يقينا وإيمانا بصحة عقيدته، ولعل ذلك كان سبباً في بذل مهجمهم في الحروب واندفاعهم اليها بغير تردد حتى اذا سقط أحدهم في حومة الوغي قتيلاً كان آخر ما يصل الى سمعه ممن بقي حياً « واحليلاه ، لقد سبقتني

الى الجنة « أما في حالة هزيمة عدوهم واطباقهم عليه تراهم يقولون
مهللين « يا أهل التوحيد . يا أهل التوحيد . إياك نعبد وإياك نستعين »
ويطلقون على ذوي الرصاص - ربح الجنة - حتى اذا أصيب أحدهم
أثناء القتال في ظهره عدوه جباناً يحاول الفرار لا يستحق عندهم
تكريماً حتى ولا الدفن .

أما عقائدهم الدينية فهي كما أسفنا اتباعهم تعاليم السنة النبوية
فلا يقيمون المآتم لموتاهم ولا يشيدون القباب على الأضرحة لا ولا
على المساجد فهم يعتقدون ان الموتى في هذه الدنيا لا يستحقون تكبيراً
ولا تعظيماً من جانبهم ماداموا سيبعثون معاً جديداً وينعمون بنعيم الجنة
ولعل في هذا بعض الشبه من عقيدة البعث بما كان يعتقد قديماً
المصريين بما هو مسطور على تواريخ موميائهم وما كانوا يعدونه
من الملابس والأطعمة ونحوها استعداداً ليوم النشور ، على ان هناك
بطبيعة الحال فرقاً كبيراً بين العقيدتين لا يخفى ، فان قديماً المصريين
بتحنيطهم جثث موتاهم واعدادهم الطعام ونحوه إنما كانوا يعتقدون ان
موتاهم سيبعثون بأجسامهم وهياكلهم البشرية بعينها في هذه الدنيا ،
ولكن أهل نجد يعتقدون كما يعتقد أهل السنة والجماعة من أهل
المذاهب الأربعة بالبعث المعروف في حياة غير هذه الحياة ،

حياة النجديين الاجتماعية

ان أهل نجد ولا سيما سكان باديتها يعدون الارز طعاماً

أساسيا لهم بمثابة الخبز عند سائر الشعوب الاخرى ، ولما كان هذا النوع من الطعام يستلزم تناولَه بالملاعق فان النجديين لا يستعملون سوى قبضة أيديهم . أما سائر ألوان الطعام الناضجة الاخرى فلا يمكن أن تخلو من اضافة مسحوق « السكرم » عليها - ويسمونه البزار - ومع كثرة الالبان هناك فانهم لا يعرفون الجبن ولكنهم يصنعون شيئا كثير الشبه به يسمى « البقل » وطريقة صنعه أنهم يغفون اللبن حتى يجف ومن ثم يضعونه في الهواء فيزداد جفافا ويقطعونه قطعاً صغيرة بعد أن يضيفوا عليه قليلا من الملح ، ومن عوائدهم أن لا يناولوا البصل نيدا وحببتهم في ذلك عدم مضايقة المصلين برائحته . وهم لا يهتمون بتصنيف الطعام ألوانا ولا يهتمون بطهي الحلوى تمشيا عن ما كان عليه السلف الصالح

ولا يوجد في نجد كها سوى طيب واحد هو طيب الملك الخاص ومع أنه وحيد زمانه هناك فان عمله قليل والعلة في ذلك أن أسقام الناس تكاد تكون معدومة بسبب تقشفهم في المعيشة وفي تناول الاطعمة ولان يد الطبيعة هي التي تقوم مقام الطيب هناك ، يدلك على ذلك أن الوفيات هناك قليلة جداً ويندر أن يموت شخص في سن الاربعين أو الخمسين ، ولهذا المناسبة اذكر مرة ان جاء بدوي الى طيب الملك أثناء وجوده وطلب اليه أن يصف دواء لامرأته التي كانت تقيم في قلب البادية وعلى مسير ثلاثة أيام فاعتذر الطيب

عن وصف الدواء إلا إذا عاين المريض وشخص داءه فما كان من الاعرابي إلا أن هزأ بالطبيب والدواء وقال لعلها تكمن قد شفيت فلا حاجة بنا إليك وانصرف لسبيله وجاء بدوى آخر كان قد أصيب برصاصة في جانب من كتفه شلت ساعده الايمن فلما أفهمه الطبيب أن إخراج الرصاصة يستدعي التخدير وإجراء عملية جراحية ضحك وقال « لا والله ان أموت إلا بريح الجنة — ويقصد بذلك برصاصة أخرى لا أن يموت على مشرحة الطبيب »

ومن أعجب العجب أن أهل البادية الذين يقطعون القفار الشاسعة بلا دليل صناعي أو نحوه بل يمرصد الشمس والقمر والنجوم وألوان رمال الارض يستطيعون أن ينبئوك بأن أشخاصاً يتحدثون وهم على بعد نصف يوم على ظهور الابل في الصحراء . واهل ذلك يرجع إلى شدة حاسة السمع والبصر عندهم وصفاء أذهانهم وإلى قوة اتجاه الريح الذي ينقل نبرات الاصوات مع الاثير

والمواقيت هناك بالحساب الهجري وقد يريد بعضهم أن يذكر لك مثلاً العام الذي انقضى منذ عشر سنوات فبدلاً من أن يقول لك بالرقم يذكر لك أمم وقائم ذلك العهد كان يقول — سنة الاحساء أو سنة الحجاز — وهم جرا . ولا يمكن أن بخطي . أحدهم في فهم عدد السنوات التي مضت على ذلك الحادث أو أن يكون جاهلاً لأمم ماجري من وقائع تلك السنة . أما نطقهم العربي فلهجتهم تختلف عن لهجة عرب مصر بل وعرب الحجاز أيضاً فهم يدلون الكاف

تاء مشددة ، ومن عاداتهم أنهم قبلما يبدأ أحدهم بمحادثة آخر يدعو له بطول العمر وهناك اختصار لجملة أو اعادة جمل تقع في حرفي «س م» بفتح السين وسكون الميم فعند ما يقدم الساقى القهوة بدل أن يقول «بسم الله» يختصرها بقوله «سم» وإذا أراد أحدهم أن يصدع بأمر فبدل أن يقول سمعا وطاعة أجاب بكلمة «سم» وإذا ناديت عليّ وأراد أن يقول لك اني سامع هتف قائلا «سم» وهم جرا . وللقراءة عند أكثر قرائهم نغمه مخصوصة يخيل الى سامعها من غير النجديين أنه يستمع «لا خنف» ولكنهم يفعلون ذلك مبالغة في الخشوع والتصوف ولا سيما عند قراءة كتاب الله العزيز ولا بدال اللهحي عندهم شأن كبير فهم بدون من حاق لحيته مخالفا لسنة رسول الله ، وقد قص عليّ أحدهم وهو يعبث بلحيته اعتزازا بها - بعد استئذان الدكتور محبوب - أن اثنين اختلفا في أمر إطالة اللحية من عدمها وكان أحدهما أجردها فذهبا الى بيت رسول الله عليه السلام يمتكمان فلما طرقتا الباب الدار أجابتهما السيدة عائشة رضي الله عنها بأن الرسول غائب فذهبا ، ثم عادا وطرقاه ثانيا وكان صلى الله عليه وسلم لم يعد بعد فأرادت السيدة عائشة أن تقسم بأنه لم يعد فقالت (والذي فضل الرجال باللهحي أن الرسول ليس موجودا) وهكذا اكتفى ذو اللحية بهذا الحكم وانتصر على زميله وانتهى الامر

قبائل بني صخر

أما قبائل بني صخر النازلة في حدود مملكة نجد من ناحية شرق الاردن فهي لا تزال على فطرتها لا تعرف من الاسلام إلا اسمه وقلما نجد من يعرف أداء الصلاة بفروضها ومع أنهم خاضعون لحكم جلالة الملك ابن السعود الآن إلا أنهم لا يزالون في عزلتهم التي كانوا عليها قبل دخولهم في حكم جلالاته فلم يغيروا عاداتهم وتقاليدهم ولم أزيأؤهم وأهم ما في أمرهم أنهم لا يأكلون القمح طحيناً بل يسلقونه على مثال (البليّة) المعروفة في مصر ويعتقد بنو صخر أنهم مصريون أصلاً وبنو عمومة للمصريين وقد كان جدهم الأول مصرباً وقد كان لهذا الاعتقاد أثره نعي فقد استقباني بعض مشايخ تلك القبيلة بأجلى مراسم التأهيل والترحيب وشرعوا يقيمون الحفلات كأنما جاءهم قريب جليل القدر من ضفاف النيل .

وقد شهدت حفلة عرس وقد جيء بقطعة من خشب العود وأمسك باحدى طرفيه كل من الزوج ووالد الزوجة ومن ثم حاط بهما الحاضرون وهنا قال والد الزوجة (وحياء العود والرب المعبود جوزت ابنتي) فيرد عليه الزوج قائلاً (تجاوزت ابنتك) وعلى أثر ذلك تنحى الذبائح وتقام المآدب وينتهي الامر . والى هنا نكون قد انتهينا من وصف بلاد نجد، طرقها ومسالكها ، عواذها وتقاليدها ، ودينها وطبائع أهلها من حضر وبدو، وقد رأينا قبل مبارحتنا الرياض

عاصمة نجد أن نحظى بمقابلة جلالة الملك ابن السعود كي نحصل منه على حديث مستفيض في شئون بلاده العسامة من سياسية واجتماعية ونستطلع رأيه في شأن الخلافة الاسلامية وما جرى في حادث الاعتداء على المحمل المصري والنظام الجديد الذي وضعته حكومته لحكم الحجاز بعد فتحه ورأيه في توظيف المصريين في مناصب دولته ، وقد أبدى جلالة عظيم ارتياحه إلى محادثتنا فيما تقدم وإلى القراءم هذا الحديث

حديث ملكي هام

بدأ جلالاته حديثه معنا قائلا أرحو أن لانكونوا قد تأثرتم بشيء مما بدأ لكم من خشونة بعض سكان البادية وجفاء طباعها أو شدة تعصبهم للدين فذلك أمر يرجع إلى الفطرة التي نشأوا عليه على أنني شخصيا وكبار أقطاب دولتي لسنا على شيء من هذا يدلك أن مندوبي الدول ذات التأن بنا يدخلون معنا في مفاوضات طويلة فلا نشدد وإياهم أو نسلك معهم مسلكا ينأى بهم عنا بخلاف ما شاهدتموه، أنتم شخصيا إذا طوحت بكم أحاديث كهذه مع قبائل البدو الذين هم على الفطرة، وأناي أحمد الله أن شعبا كهذا يدين بالولاء لمليكه ويرفع كلمته عند الشدة ويبذل مهجه عند الضرووة ويقنع بالقليل من أود الحياة ولعل أخبار حرب بنامع الشريفين وما أبداه شعبنا من بسالة وأقدام وتفان في رفع راية مليكه أكبر شاهد على ما أقول

سألنا جلالتهم - وهل تتنازلون جلالتكم ببيان الاسباب المباشرة

اقيام الحرب الحجازية الاخيرة ؟

فاجاب : نعم . واني أقدم لك باني ما كنت أبغي الحرب معهم

لولا أن الشريف حسينا هو الذي ألجأنا الى قتاله بما ارتكبه عصابته

في السنوات الاخيرة من سوء معاملة حجاج بيت الله الحرام ، ليس

بالنسبة للنجديين وحدهم بل وسواهم من ثم الاسلام الاخرى ،

ولقد صبرنا عليهم صبراً جميلاً وفوضنا الامر فيهم لله تعالى فما ازدادوا

الابغيا وعدوانا وأذرتناهم بداية بدء بسوء المصير ولسكنهم تمادوا

عتواً وأعمل رجالهم صلفاً وارهاقا مما لا قبل لنا على المزيد من الصبر

عليه فاضطررنا في نهاية الامر إلى تسيير جيشنا الى الحجاز واذا

سمعت مني كلمة --- حيثس فليس ذلك الجيش الا أولئك البدو

البواسل الذين تشاهدتهم حولك هنا وهناك --- فعلنا ذلك وكان

يقيننا أننا نطهر أرض الحجاز من أهل البغي ونؤمن طريق الحجاج

وتحمي أرواح المسلمين ، ليس في نيتنا أن نمتلك الحجاز لذاته أو

نزيد ملكنا بسطة وساماننا فقد كنا نعلم أن لاهل الحجاز عقائد

وتقاليد تخالف عقائدنا وتقاليدينا وهناك عصابات القتل والنهب

والاخلال بالامن من الصعب قطع دابرها أو تحييل عقائدهم وأحكامهم

الى مثل الحال في بلادنا ، نجد ، وكنا نعلم أكثر من ذلك أن امتلاك

الحجاز ربما يسبب لنا متاعب ويفتح الباب لتدخل بعض الدول

الاوربية معنا ولسكننا خضنا الحرب مع ذلك تحت تأثير غرضنا

الاسم الذي أسلمت لك بيانه وهكذا كتب لنا النصر بعد حرب لم تدم طويلا بسبب تدمير الحجازيين من سوء حكم الشريف حتى لقد كان رجالنا لا يلقون في أكثر الموانع الحربية مقاومة تذكر وكنا كلما دخلنا مكانا أهل بنا أهله كافة بل ما كدنا نطرد الشريف وعصبته ونقبص على ناصية الامور في الحجاز ونعلن لاهلها عدم رغبتنا في حكم الحجاز حتى اجتمع زعماءه وأصحاب الكلمة فيه وأجمعوا رأيهم على مبايعتنا الملك فيه وهكذا لم نر بدا من أن تقبل هذه البيعة وأن تقبل حكم الحجاز بدين الله وسنة نبيه الكريم

وسألنا جلالاته — وماذا أبدلتم من نظام الحكم في الحجاز ؟
فاجاب جلالاته : أن النظام الاساسي لحكومته لم يتغير فأبقينا كبار الموظفين الذين عهدنا فيهم الصدق والاخلاص لنا ، بل الذين كانوا في مقدمة الذين بايعونا الملك وكل ما أحدثناه هو ابدال القوانين التي شرعها لهم الشريف باتباع حكم الشرع كما هو الحال في نجد . وقد استقبل الناس ماشرعناه لهم بمزيد الابتهاج والرضى وقد كان لذلك أثره الفعال في سرعة تبدل الحال واستتباب الامن وقطع دابر الفوضى من أرض الحجاز كما سوف ترى عند ما تزورها

وسألنا جلالاته — قلم لنا أنه لم يكن بدمن تدخل بعض الدول في شأن من يحكم الحجاز فماذا تقصدون جلالاتكم بتلك الدول ؟
فأجابنا : تعلمون أن أكثر دول أوروبا وفي مقدمتهم انجلترا تحكم أما اسلامية فكان من البديهي أنها تهتم بشئون حجاجها .

مثل ذلك أن الأزهر الشريف فيه رواق لكل دولة ومن حقها أن تتدخل مع الحكومة المصرية في كل ما يمس شئون شيوخه وطلابه، فالمسألة في حكم الحجاز من حيث تدخل الدول لا تمعدى هذا الشأن فقط وإذا جاز لي أن أخص بعض الدول بالشناء فإنما هي إنجلترا التي برهنت في أكبر من موقف على أنها لا تبغي بنا تحكما فيما هو خارج عن حدودها فما دام رعاياها من الحجاج في أمن واطمئنان وأسباب رعاية صحتهم متوفرة بينهم فهي لا تحرك شأننا قل أو عظم سألنا جلالتهم — وما رأيكم في الخلافة الإسلامية ولماذا لا ترغبون فيها ؟

فأجابني مبسما: إني أعتذر لك عن الخوض في هذا الشأن الخطير لأسباب أراها لا تتفق مع تماسك أهل بلادنا بخصوص حكم الشرع. لا أرى من اللياقة وحسن المجاملة أن أبسط معك في هذا الموضوع. قلنا لجلالتهم — وما رأيكم في توظيف أذكى المصريين في وظائف دولتكم ؟

فأجابنا جلالتهم قائلا: ان حبي وتقديري لابناء مصر فوق ما تنصرون أنت فهذا مستشاري الأمين وساعدي الأمين فضيلة الشيخ حافظ وهبه له عندي المقام الأسمى وعظيم التقدير وإني أرحب بمن يرغب في تولي مناصب البلاد من أبناء مصر لولا أنني أعرف بأن مالية الدولة لا تتفق وما يستحقه أبناء هذا البلد الغني الوفير الخيرات وإني أرجو الله أن يتسع نطاق العمران في بلادنا على مدى الأيام

وتزيد موارد دولتي فيكون المجال فسيحاً أمام هؤلاء الاخوان الذين
أتمني وجود أكثر عدد منهم بين موظفي حكومتي .

قلنا لجلالته — وما رأيكم في حادث المحمل المصري فأطرق
جلالته قليلاً ثم قال : ليت تلك الساعة العصيبة التي وقع فيها هذا
الحادث المنكود لم تكن مسطورة في حساب الدهر فقد جرّها أناس
لا ينظرون إلى ابعدهم من أنوفهم وهم في ساعة غليان . أحمد الله الذي
كتب لحامية المحمل المصري السلامة ولم يحملنا وزر ماجرى أو
ما كان أن يكون فمصر هي أقرب دول الاسلام جواراً لنا وجمالة
مليكة فؤاد الاول له في فؤادنا أجل مكان واني أؤكد لك بأنه على
توالي الايام سيدرك أمثال الذين أثاروا هذا الحادث برعونتهم أن لا
شيء أحب اليهم من تمتع الاراضي المقدسة بأعظم أنواع السلام والطمأنينة
وكان هذا خاتمة حديثنا مع جلالته وبعد أن شكرنا ما أقمينا في بلاده
من ضروب الحفاوة والاکرام وما خصنا به جلالته وسائر أفراد أسرته
السكرية من الرعاية والعطف استأذناه في السفر إلى مكة المكرمة .

الى أم القرى

لاناتي على نهاية هذا المقال حتى نكون قد انتهينا باقراء من
وصف تلك الرحلة فيكون مسك الختام . وقد أسلفنا القول في مقالنا
السالف بأننا سنقصر هذا المقال على وصف رحلتنا في أرض الحجاز
بعد أن قضينا نيفاً وشهراً في عاصمة نجد وأكثر من شهرين في التنقل

بين بلاد نجد ، وكان في نيتنا أن نقوم برحلة طويلة نستعرض فيها سائر مدن الحجاز لولا أن داهمنا القيظ بخيله ورجله فقد كانت درجة الحرارة في شهر مارس أشد منها في شهر يوليو بالقاهرة — حيث نصطليها الآن . . — وعلى ذلك لم نبدأ من الاقتصار على زيارة مكة المكرمة وفي الواقع انها كل شيء في الحجاز بل هي الحجاز كله فأم القرى هي مظهر حياة الحجاز والحجازيين ، على انها في الاثناء الاخيرة وبعد أن حكمها الوهايون قد تطورت تطورا يدفع بالباحث الرحالة الى استطلاع قديها وجديدها .

تركنا «الرياض» وكان من حسن الحظ أن راقتنا في رحلتنا منها الى أم القرى سعادة الطيب بك الهزاري رئيس ديوان جلالة الملك ابن السعود يحمل الهدية السعودية الى صاحب السمو الامير فاروق ولي عهد الدولة المصرية وهي الجياد الاربعة التي وصلت الى مصر منذ شهرين فقطعنا ستة أيام على ظهور الابل لم نشهد في طريقنا أثرا ابدا الى أن صادفنا قرية تدعى «الشعرا» هي بمثابة محطة لرحال القوافل وتزويد رجالها بما يحتاجون اليه من مؤونة وماء ولهذا السبب ترى أسعار الحاجيات فيها مرتفعة جدا ، وتركنا هذه القرية وواصلنا السير بين وديان وحزون فتارة نصعد الى هضاب عالية وقم جبال شامخة ثم ننخفض الى سفوح بعيدة الغور وعرة المسالك حتى اذا اذا احتجنا الى الماء لم نجد حاجتنا منه إلا من آبار بعضها ذات ماء آسن أو مالح ، وهكذا قطعنا عشرة أيام على هذه الحال الى أن

بلغنا بقعة يسمونها « السيل » وقد سميت كذلك لوقوفها في سفح سلسلة جبال تنحدر من قممها مياه الامطار فتكون شبه بحيرات صغيرة وفي هذه البقعة يتحتم على قاصدي أم القرى أن يجرموا استعدادا لدخول المدينة المقدسة ، فخلعنا ملابسنا العادية وأحرمتنا وواصلنا السير حتى اذا بانت أمام أنظارنا قباب مكة ومبانيها الشاهقة هتفنا مع رجال القافلة قائلين « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، السعد والخير بين يديك » وفي مساء ذلك اليوم بلغنا أبواب مكة فكان أول ما قننا به أن طفنا حول البيت الكريم وسعينا بين الصفا والمروة سبع مرات ، وهذا فرض واجب على كل داخل مكة ، وكان رجال الحكومة قد أعدوا لنا منزلا خاصا قضينا فيه ليلتنا ، وفي اليوم التالي قابلنا سمو الامير فيصل نائب جلالة والده في حكم الحجاز فشاهدنا فيه أميرا عربيا حلوا الشمايل عذب الحديث ذكي الفؤاد وكان ارتياحه الى رحلتي عظيما ولم ينس أثناء الحديث أن يذكر مصر وجلالة مليكها ورجال الاعلام في مصر بنوع خاص بأحسن ما يذكر من طيب الحديث

في مكة المكرمة

ومما لاحظناه وكان آتشد شهر رمضان أن أكثر التاجر والحوانيت مغلقة وحركة المارة في الشوارع خفيفة وهي حالة تختلف اختلافا كلياً عن مثلها في سائر المدن الاسلامية الأخرى. وقد بحثنا عن السر في ذلك فعرفنا أن سكان مكة ينقطعون بكلياتهم وجزئياتهم

خلال شهر الصوم للعبادة والتقديس ونسيان متاع الدنيا ومتساغها .
ومكة مدينة كبرى بحق أكثر مبانيها مشيدة بالأحجار ذات
وجهات بارزة بشكل « مشرييات » بعضها على نمط عربي بحت
والبعض الآخر يشبه المباني المصرية التي شيّدت خلال نصف القرن
الماضي ، وهي كثيرة الاسواق يجدها فيها المسافر كل ما تشتهيبه نفسه
من الحاجيات من ملابس ومأكل وكاليات ولا سيما بعض الزخارف
التي يجيدها صناع أصلهم من الهند والعراق والشام وبعض أهل مكة
أنفسهم ، فأسواق الحرير مثلاً مع ان دودة القز لاتعيش في الحجاز
وقزها يجلب من دمشق الشام وبيروت ، يشتغلون بصنعها حتى اذا
عرضت مصنوعات مكة الحريرية على طلابها ميزوها وأيقنوا انها
من صنع مكة ، على ان سائر السلع والضائع مرتفعة الاسعار حتى
الفاكهة وبعض الخضروات بسبب استجلابها من الخارج وضرب
الرسوم الجمركية فادحة عليها ، أما اللحم والسمن فكثير جداً وأمانه
رخيصة عنها في مصر .

أما الحالة الصحية بسبب قدم المدينة وضيق شوارعها وعدم
تنسيقها وشدة حرها وعدم اعتناء الحكومات البائدة بتوفير أسباب
الصحة العامة فليست حسنة ، ولكن الحكومة الماضية شرعت في
استجلاب المرشحات للياه وتوسيع بعض الشوارع وإضاءتها ، كل
ذلك يحمل على الاعتقاد بحسن الحال في مستقبل الايام
ويبلغ تعداد سكان مكة والقرى المجاورة لها زهاء مائة ألف

نسمة وأكثرهم طوال القامة يضرب لونهم للسرة مع نحافة غالبية في
الاجسام على انهم يتمتعون بصحة جيدة ، وظاهر ان اخلاط
العنصرين التركي والمصري بهؤلاء السكان أحدث تغييراً في لهجة
حديثهم ودرجة تفكيرهم وذهنياتهم ، وهناك عدد غير قليل من
الاعنياء الموسرين الذين أثروا من تبادل المتاجر والأرباح الطائلة
التي دخلت عليهم في أوقات الحج ، يجد الزائر المصري في منازلهم من
أدوات الترف وجمال التنسيق ما يجده في بيوت بعض كبراء مصر
وتناول القهوة هناك شائع على الطريقتين المصرية والتركية إلا أن
شرب الشاي هو الأكثر شيوعاً .

أما عقائدهم الدينية فهم أقل تعصباً للدين من أهل نجد ، وقد
لاحظت ان بعضهم مع إحلال الحكم الوهابي وتطبيقه في الحجاز
لا يزال يستبيح لنفسه بعض المحرمات الوهابية ، مثال ذلك ان بعضهم
لا يزال على عادته في تدخين الدخان والتبأك إلا أنه لا يجسر على
تدخينه جهاراً ، وهناك بعض أصحاب القهوات ينصبون أستاراً
داخل محلاتهم يستر وراءها مدخنو النارجيلة والسجائر

والماء هناك شأن يذكر ولا سيما في موسم الحج فيكثر استهلاك
الماء من الآبار فتقل مياهها بطبيعة الحال ولا سيما في الطريق ما بين
مكة وجبل عرفات . وكان من أهم ما اتجهت إليه أنظار جلالة الملك
ابن السعود بعد فتحه الحجاز هو العمل على حل هذه المشكلة الهامة
فأمر ببناء أحواض تخزن فيها المياه بكثرة قبل تدفق سيول الحجاج

وبذلك يجدون حاجتهم منها بسهولة ويضمن مقبول. والماء هناك وعازة عذب وملح ، فالعذب يستخرج من عين تسير في قناة من الحجر تحت الارض وهي المعروفة « بمين زيدة » ويبتدي أولها قبل منطقة السيل التي أسلفنا ذكرها ، ويروي ان الملكة زيدة زوجة هرون الرشيد هي التي أنشأت هذه القناة فسبلت على أهل مكة سبيل الحصول على المياه العذبة ، ولهذه العين عدة فتحات يزدحم عندها السقاة لأخذ حاجتهم منها ويحدثون ضجيجاً يصم الآذان . أما المياه المالحة فتستخرج من آبار ارتوازية وهي ليست مالحة جداً ولكن الحاجة تدفع بعض الناس الى استعمالها ، ومياه « بثر زمزم » الكائنة وسط الحرم الشريف من هذا النوع ولا يتناولها الناس إلا على سبيل البركة

ويعتمد أهل الحجاز في معيشتهم على موسم الحج الذي يدوم حوالي ثلاثة شهور ، فاللباني تؤجر لسكنى الحجاج بأجور مرتفعة والتجار والصناع يعرضون ما يدخرونه من البضائع والمصنوعات على الحجاج ، وهناك طائفة الصيارف ينتشرون في زمن الحج ويربحون أرباحاً طائلة من تبادل أنواع العملة المختلفة التي تحملها الحجاج . وعلى وجه العموم فان أهل مكة يعتمدون على قوام معيشتهم خلال بقية أيام العام على ما يجنونه من أرباح مواسم الحج .

ومما يلاحظه زوار مكة كثرة المستجدين من السودانيين الذين يسمونهم « التكارنة » وهؤلاء ممن تضيق بهم سبل العيش.

فينزحون الى جوار الحرم الشريف رجاء العيش مما يجود به أهل الخير، وقد شهدت نفراً من أولئك السودانين بحالة تفتت الابدان ولست أدري ما هو نصيبهم من حسنات حكومتهم الغنية في ديارهم

مجلس الشورى

أما نظام وضع الحكومة الحجازية فباق كما كان عليه في الزمن السابق من حيث تنظيم الادارات والاختصاصات وكل ما استجد هو استبدال القانونين المدني والجنائي بانفاذ أحكام الشريعة السمحة وفاقا لما أفضى به إليّ جلالة الملك عبد العزيز في حديثه ، وقد زاد جلالة بأن أنشأ مجلساً للشورى على نحو ما وافقنا به الانباء الاخيرة ، ولعل هذا أجل ما استبشر به الحجازيون وارتاحت له سائر الأمم والشعوب ذات الاتصال بالاراضي المقدسة ، فليسوف يكون من شأن هذا المجلس العمل على نشر العلم ومحاربة الامية وتقوية أسس المعاهد وأهمها « المعهد السعودي » الذي تلقن فيه العلوم الدينية والعمرانية الراقية التي يقوم بتدريسها جماعة من أفاضل الاسانذة المصريين والسوريين وكذلك فانه على الرغم من لمشكلات الصحبة التي أقامها أخيراً الملك عبدالعزيز وأنفق في سبيلها الاموال الطائلة فان المأمول على يد مجلس الشورى الجديد أن تزداد العناية في هذه الناحية والاكثر من المستوصفات ومخازن الأدوية واعداد الاطباء

الاخصائيين في مختلف الامراض، كذلك قل بتسهيل سبل المواصلات
وتعميم المحافظة على الأمن العام .

الامير فيصل

ولما كان جلالة الملك عبد العزيز يحكم اضطراره لمباشرة شؤون
نجد على الاخص ولانه في الواقع لا يريد أن يحرص همه في ادارة
شؤون الحجاز فقد اقتضت حكمته إن يولي سمو الامير فيصل ثاني
أنجاله بمثابة قائمقام له في ادارة حكم الحجاز بعد أن آنس من تعلق
الحجازيين بذاته وميل الشعب الخجازي الى تسيير شؤون الحكم
على مقتضى نظام الشورى : وقد أصاب في ذلك كل الاصابة فقد
أظهر هذا الامير الصغير السن حكمة الشيوخ ولبافة الحكماء فجمع القلوب
حوله حتى ان ممثلي الدول الاجنبية الذين خالطوه بحكم مهامهم
الرسمية شهدوا له بحدة الذكاء وبعد النظر ورقة الجانب ، وكانت
رحلته في عواصم أوروبا في خلال الصيف الفائت مما أيد حسن ظن
هؤلاء وأولئك فيه فنشر دعاية العرب بين أمم الغرب من طريق
غير مباشر وناد بحمل الى قومه وبلاده ثقة الأمم المتمدينة بعد أن
كان الاعتقاد السائد بينهم ان بلاد العرب يحكمها أناس بعيدون عن
المدنية مجردون عن صفات التهذيب الانساني .

الحج ومراسيمه

ومما يذكر حبال الحج ومراسيمه أن جماعات المطوفين كانوا

إلى ما قبل حكم الملك ابن السعود في الحجاز أشبه بجماعات التراجمة الذين يصاحبون السياح الأجانب في مصر فيمثلون معهم شتى ضروب القبائح ويرسمون أمام أنظارهم أشنع صنوف الموبقات ويصورون لهم الأمة المصرية تصويراً ذمياً مما حمل الصحافة المصرية في الأيام الأخيرة أن تطلب من الحكومة المصرية الوقوف في وجههم ومصادرتهم وسن اللوائح لا يقاومهم عند حدهم محافظة على كرامة مصر وسمعتها وقد كان أولئك المطوفون يتلقفون الحجاج ولا سيما بسطاؤهم فيبتزون أموالهم ويلقنونهم أقوالاً خرافية منافية للشرع والعقل معاً. مثال ذلك أن يمسك أحدهم بحاج ساذج ويلقنه العبارة التالية بصوت خافت على باب الحرم الشريف كأنما هو ينزل عليه آية من السماء وهذا هو « اللهم إني نويت إعطاء مطوفي مبلغ كذا من المال بنية الله ورسوله » فإذا ما نطق الحاج بهذه الكلمات حسب أنها سجلت عليه في لوح مسطور لا سبيل إلى نقضه بحال حتى إذا فرغ من طوافه أدى ما تعهد به لذلك المطوف المحتال تغير أمهال — وهكذا دواليك ، وأكثر منه مما كان يجري في السر والعلانية ، وقد يكون بعضه ما يغضب الله ويندي له وجه الآداب . أما الآن فقد قضى نظام الحكم الجديد على تلك المظالم والبدع السخيفة ، ووضع أولئك المطوفون تحت مراقبة شديدة ، فإن أقل شكاة يرفعها أحد الحجاج ضد أحدهم تكون كافية لا بعباده عن حظيرة المطوفين أما مشكلة الأمن العام التي كانت هي في الواقع أم المشاكل

ورأس كل الخطايا مما كان يحسب له المسلمون الراغبون في حجب بيت
الله الحرام أكبر حساب فقد كانت في طبيعة المشاكل التي استطاعت
الحكومة الجديدة حلها على أهون سبيل ، فمنذ حل حكم الشرع محل
القانون المدني والجنائي ، وأدرك دعاة الشر والاجرام ما هو حكم
الشرع حيالهم نزعوا عنهم ثيابهم وغسلوا أيديهم من أوزار الماضي
ووضعوا أنفسهم رهن ما يقضي به حكم الشرع إذا ما حدثتهم نفوسهم
بمخالفة ما يقضي به هاتيك الأحكام ، فكان أهم ما انقطع دابره تلك
الفعلة المشثومة التي كان يلجأ إليها أشرار البدو الحجازيين ولا سيما
رجال قبيلة عتيبة وبنو هذيل وحرب الذين كانوا يستدينون الاموال
من بعضهم بعضاً على أن يقوموا بسدادها من أسلاب الحجاج وما
يغنمونه من أموالهم فقد عهد الملك عبد العزيز فوق اعتماده على انفاذ
حكم الشرع إلى بسط يده بالاحسان إلى فقراء هؤلاء البدو ، وبذلك
أمنت القوافل التجارية على ما تحمله من بصائع وسلع مهما بلغت قيمتها
وأمن الحجاج كذلك على أرواحهم ومتاعهم ، يدلك على ذلك أن
رجال المحمل المصري عند مسائروا في العام الماضي أثبتت سعادة
أمير الحج في تقريره لولاية الامور أن عصابات البدو التي اعتادت
غزو المحمل ورجاله لم يبق لها أثر في الحجاز وفي هذا العام سافر
الحجاج المصريون وعادوا دون أن يصيبهم أقل اعتداء حتى قال لنا
أحد الحجاج « أن امرأة مصرية تستطيع أن تبحر مصر بمفردها
وتقصد إلى قلب الحجاز وتقوم بفريضة الحج ثم تعود دون أن

بصيها أقل مكدر « والظاهر أن استقرار حالة الامن حملت أحد أعضاء مجلس الشيوخ المصري على التصريح رسمياً بأن المحمل وحرسه أصبح بدعة يجب ابطالها ، وقد تألفت لجنة خاصة لتنظر في هذه المسألة على أن هناك رأياً آخر هو أنه اذا استقر الرأي في نهاية الامر على منع سفر المحمل فليس من العدل أن يحرم قراء الحجاز من المبرات وخيرات الواقفين التي اعتادت مصر ارسالها إلى الحجاز من قديم الزمان ، ولعل ذوي النظر البعيد من ولاية الشأن في مصر سيراعون هذه النظرية بما تستحقها من العناية والاهتمام .

مصر في الحجاز

ان مصر لتتبه فخراً بين أمم الاسلام التي يحج الحجاز بوجود التكية المصرية والمستشفى المصري التي يحنق عليهما العلم المصري على الدوام بصورة تشعر العالم الاسلامي أن مصر ذات الأثر الخالد والمجد التالد في المكرمات السباقة إلى رعاية حقوق الانسان لها ذلك الأثر الناطق على مقربة من أشرف مكان يهتدي اليه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها ، فلقد هزني الفخر بحق عند ما زرت دار التكية المصرية التي يديرها ، واطننا الفاضل اراهيم صبحي نجاتي افندي وألفتها لا تختلف عن إحدى إدارات الحكومة المصرية بالقاهرة نظاماً ، ورجالها يقومون بتوزيع الطعام من خبز ولحم وأرز على جيش من البؤساء والمعوزين صباح كل يوم فتسمع أصوات ذلك الجيش

وهم ينصرفون تنصاعداً بالدعاء لمصر وجلالة مليكها ، وماذا أقول في ذلك المستشفى الذي يضم بين جدرانه مئات المرضى بمختلف الأسقام والأدواء وهم يعالجون بمزيد العناية والرفق وتصرف لهم الأدوية والعقاقير والأطعمة الصحية بسخاء عظيم أضف إلى ذلك عناية حضرة الدكتور البارع عبد الهادي بك خليل الذي يواسي المرضى برقه ويحنو عليهم بعلمه ورعايته . وعندى أن وجود مثل هذين المعهدين الانسانيين خير من ألف تمثيل سياسي لا طائل منه

في جدة

قد اتهبنا من رحلتنا واستوعبنا ما يهيم قوهنا وبلادنا الاطلاع عليه واعتزنا مبارحة مكة فودعنا سمو الامير فيصل الذي كان على الدوام لا يكف عن التلطف بنا والاستفسار عنا — ومن ثم استقلنا سيارة سارت بنا نحو ثلاث ساعات حتى باننا «جدة» بعد أن مررنا بقرية صغيرة تقع في متوسط الطريق تدعى «بحرة» وهي نقطة تتمون منها السيارات بحاجتها ومحط لرحال قوافل الحجاج الذين يستريحون فيها

وتغر «جدة» من أهم مواني الحجاز على ساحل البحر الاحمر وبسبب مركزها الطبيعي يعتبر أهلها أغنى من أهل مكة ومن سائر البلاد العربية في شبه الجزيرة وذلك لاتصالها بالأسواق الخارجية ،

ومرور البواخر القادمة من الهند ذاهبة إلى مصر وغيرها ، ويحكم هذا
الشعر حاكم يلقب « بالقاتمقام » يعاونه رجل الشرطة .

وتوجد في جدة دور القنصليات وبعض المصارف المالية ، وتقع
القنصلية المصرية في بناء فخم ، ولا يمر بجدة مصري حتى يلتقى من
عناية صاحب العزة أمين بك توفيق قنصل مصر ما يطلق لسانه
بالشكر واثناء ، ولا يوجد في جدة إلا عدد من الأزريين الذين
يعدون بمثابة « قومسيونجية » لاستجلاب البضائع من البلاد
الخارجية وتوزيعها على التجار المحليين الذين يوزعون سلعهم
في داخل البلاد

وجمرك جدة يعتبر ركناً مهماً من موارد الثروة للحكومة الحجازية
فإن ما يجيبه من الرسوم الجمركية على الصادرات والواردات مع قدامتها
يكون دخلاً عظيماً لا يستهان به

وطقس جدة لا يعد أطف كظراً منه عن داخلية البلاد مع
كونه على ساحل البحر الأحمر فالحر هناك شديد ، وأهل « أبحرة البحر »
التي تفسد من جودة الهواء الخالص فليس يغبط أهل جدة وجودهم
على الشاطئ ، اللهم سوى اغتياطهم بما يدخل إليهم من الأرباح وتيسير
أسباب الرزق لهم .

وإلى هنا تكون قد انتهت رحلتنا وحسبنا أننا كما قدمنا للقراء
لا نبغي منها سوى إيراد الحقائق من الوجهتين العمرانية والاجتماعية
التي لم يسبق لسوانا معرفته والبحث فيه حتى الآن .

الخاتمة

هكذا تطورت الحال في مملكتي نجد والحجاز وتم
لها ذلك الاندماج المتين فخرجت «نجد» من عزاتها الطويلة
عن بقية الشعوب الاسلامية المتحضرة واصبح مليسكها هو
صاحب الكلمة النافذة والصوت المسموع في الأراضى
المقدسة وشئونها وبات اسمه علماً بين ملوك الاسلام يشار اليه
بالبنان ، وقد اثبت بالفعل لا بالقول انه جدير بهدا الملك
الترامى الاطراف الجليل الشأن في عيون سائر المؤمنين ، وانه
بعد ان طهر الاراضى المقدسة من ادران المفاسد والمظالم
التي نشرها رجال الحكيم البائد استطاع ان يقطع دابر عصابات
النهب والسلب ويضرب بصاعن حديد على ايدى قطاع
الطريق ، فأمن سبل الحج لكافة المسلمين ونظام شئون الصحة
العامية ، واقام حكم العدل بين سائر رعاياه لا فرق بين نجدى
وحجازى . ومما لا ريب فيه ان بلاداً كهذه وقد خرجت
من عزاتها ووضعت يدها بايدى جاراتها من البلاد المتحضرة

سيكون لها حظها من الحضارة بحكم المجاورة على مر الايام
ومن يعلم ما كانت عليه الحجاز قبل ان يحكمها جلالة
الملك عبدالعزيز آل سعود وكيف كانت الفوضى ضاربة
اطنابها واموال الناس وارواحهم في خطر دائم من اعتداءات
البدو الحجازيين واستخفافهم بالنظام والحكومة القائمة بالامر
وهذا ركب المحمل المصري كان على ادوام هدفا لاعتداء
المتدين، وقتك الفاتكين، فبات الحجاج يسافرون أفراداً
وجماعات حتى دون أن يرافقهم حرس المحمل ثم يعودون دون أن
يصيبهم أقل أذى. ولم يكن هذا شأن حجاج مصر وخدم بل
هي الحال مع سائر المسلمين الذين يحجون بيت الله الحرام
واذا كان كل شيء في اوله صعب فلا عبرة البته ببعض
ما قام من وجوه الخلاف في الرأي بين الحكومتين المصرية
والحجازية بشأن المحمل المصري وقد يأتي وقت تضع فيه
حكومتنا البلادين اتفاقاً متيناً يرتب شئون الحج ومراسمه في
المستقبل وطبقاً للتطورات الحادثة بين الأمم والآراء العامة
وكذلك فاذا كان بعض الذين لا يخلو لهم الصيد إلا

في الماء المسكر قد زين اليهم ان يثيروا العواصف ويشيعوا
 الاكاذيب عن حكم الحجاز وآراء الوهابيين الدينية قصد
 تنفير الامم الاسلامية من حكم جلالة الملك عبدالعزيز فبينما
 ان مثل هذا وأكثر منه يقع عادة بين سائر الامم ولا سيما
 عقب الفتوح والانقلابات السياسية وسوف يدرك هؤلاء
 واوائك من حسن نيات الملك ابن سعود وضرورب الاصلاح
 في بلاد الحجاز ذاتها مايسكت ألسنتهم وينطقهم بالحق من
 حيث لا يشعرون . على ان دعاة هذه الدسائس والحمد لله
 ليسوا من البراعة والادهاء ما يخشى شرهم ويؤثر سوء فعلهم
 بفعلهم من حثالة الناس أو أذئاب الحسين وأنصاره ممن لا
 يعتد بشأنهم ولا يؤبه بحالهم

وإنا لنسال الحق جلّت قدرته أن يكتب للاسلام
 والمسلمين اتحاد الكلمة ورفع راية الاسلام بين الأنام وأن يوطد
 دعائم الحب والولاء بين ملوك الناطقين بالضاد وأمرأهم وأن
 يوقفهم الى ما فيه مرضاة الله ورفع شأن المؤمنين بمنه وكرمه .
 « انتهى »

(تنبيه) وقع خطأ في صفحة ٧ (واظن أنها) والسواب (وهي)